فكرة التحيز في مشروع عبد الوهاب المسيري الفكري

د.غزلان هاشمي ــ
رئيسة تحرير مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ــ
و أستاذة بمعهد الآداب و اللغات.
المركز الجامعي بسوق أهراس. الجزائر

ينبني العالم على جملة تراتبات قيمية هي في حقيقتها صياغة أيديولوجية، حيث كل ذات تضخم من اعتباراتها وتنتقص الآخر الذي يتموضع في مخيلتها في صيغة دونية، ولأن الانتقاص لا يتخذ شكل تصفيات جسدية فقط، بل يتخذ قبلها شكل تصفيات فكرية وسيلتها اللغة التخليلية التي تعيد ترتيب العالم، فإن الحروب هنا تكون حروب خطابات، وبالتالي كل من يسيطر على اللغة/الخطاب يمتلك العالم ويهيمن عليه، من هذا المنطلق سعت بعض الخطابات الفكرية إلى فضح مضمرات الخطاب أو تمريراته الأيديولوجية التي تهدف إلى إعادة ترتيب العالم وفق اعتباراتها أو بما يخدم مصالحها، ومن هذه الخطابات:خطاب المفكر المصري عبد الوهاب المسيري، والذي حاول تفكيك الخطابات الغربية والصهيونية على وجه الخصوص من أجل القضاء على عقدة النقص إزاء كل آخرية مفترضة، أو كما سماها بألسنة العدو والتي تفترض تخلص الذات العربية من مخاوفها ومواجهة الآخر.

اعتبارا مما سبق:هل نجح المسيري في فضح ما سكت عنه الخطاب الغربي والصهيوني؟

ما هي الحلول المفترضة للقضاء على إشكالية التحيز من وجهة نظر المفكر؟ ما مدى نجاعتها في القضاء على عقدة النقص التي تعاني منها الذات إزاء كل مغايرة؟

هل الباحث في مساره المنهجي أو في ترسانته المفاهيمية استطاع أن يتحرر من أثر المرجعيات المستعارة؟

مفهوم التحيز:

يتأسس مفهوم التحيز على اعتبارين أساسيين: الاعتبار الأول تضخيم الذات والتمركز حولها، إذ يتم التلاعب باللغة من أجل خلق تنميطات جاهزة تسم الذات بكل سمات التعالي والفوقية ...وتجعلها رمزا للتحضر والكمال والعلم.....وهذا التمركز يعرفه عبد الله إبراهيم:"نمط من التفكير المترفع الذي

ينغلق على الذات، ويحصر نفسه في منهج معين، ينحبس فيه ولا يقارب الأشياء إلا عبر رؤيته ومقولاته، ويوظف كل المعطيات من أجل تأكيد صحة تلك المقولات"[1].

الاعتبار الثاني تغييب الآخر أو انتقاصه وتهميشه في محاولة لإقصائه، وذلك بوسمه بكل سمات الانتقاص والدونية ..

من هنا فاللغة تتحول إلى حقيقة ثانية لا تدل على أصلية الشيء أو الظاهرة وإنما على متخيلاتنا أو متصوراتنا حولها،واعتبارا من ذلك فالتحيز لا يستقيم إلا بعناصره أو مكوناته الثلاث:ذات مركزية . آخرية متخيلة . لغة تخييلية تعتبر وسيلة لبناء هذا التحيز.

ولربما بناء "علي جمعة" التحيز على نقاط محددة أو مراحل هي ما تتسمى تحت مسمى العناصر، ومنها: ضرورة التفريق بين تصور التحيز وتصديقه، إذ التصور إدراك مفضي إلى تشكل صورة الشيء في الذهن وإن خالف اعتقاد المرء وإيمانه، بينما التصديق يفترض الإدراك مع الإذعان،لتأتي مرحلة التقويم المعتمدة على ميزان المطلق حتى توضح إن كان التحيز مذموما أو محمودا، وتلي هذه المرحلة مرحلة أخرى وهي تبني الأفكار والتحيز لها ليتأسس السلوك الإنساني وفقها،حيث المفاهيم الجاهزة تؤثر في هذا السلوك وفي القناعات،من هنا قد يتعارض التحيز مع الرأي الموضوعي أو يوافقه.

يعرف "روبرت هـ.ثاولسrobert.h.thaols "التحيز بقوله:"طرق في التفكير تقررها سلفا قوى ودوافع انفعالية شديدة كالتي يكون مصدرها منافعنا الذاتية الخاصة أو ارتباطاتنا الاجتماعية. فهذه قد يكون مفعولها . في نفوسنا أنها تزهدنا في التفكير تفكيرا مستقيما حول موضوعات معينة"[2].إن التعريف يركز على الجاهزية في إطلاق الأحكام وبناء التصورات، إذ تنتفي المعرفة الموضوعية فاسحة المجال للدوافع والرغبة والانفعالات الذاتية لتصوغ الحقائق كما هي متصورة لا كماهي في ذاتها. من هنا فالمتحيز يبني آراءه واعتقاداته على أسس معقولة ومنطقية، ولو فهم غير ذلك لانتفى التحيز والهوى، لذلك"شدة التحيز تعتمد على الحقيقة الواقعة بأن المتحيز لا يستطيع أن يعي الأسس غير المعقولة التي بنى عليها هذا التحيز. وكلما كان خفاء هذه الأسس عن وعيه أكثر،كان تمسكه بتحيزه أشد وأقوى"[3].

إذن ينتفي الوعي بلا معقولية المعتقدات، ويعوض برؤية مضللة لا تنفي عن الحجج معقوليتها، ولكن هذه الرؤية تصدر عن إخلاص إذ قد يثير أي تلميح

بأن هذه الآراء موضع مساءلة وشك ومن ثمة محل تنازع حفيظة المتحيز بل ويجد فيها مساسا باعتباراته الشخصية فتؤثر فيه،"وسبب ذلك أن الأسس الحقيقية لما يعتقده،تكون مخفية في سريرته لا يشعر بها شعورا مباشرا ،ولذا فهو ليس مرائيا ،وإنما يخادع نفسه فقط"(4). ويسمي "روبرت" هذه الحالة، أي الدفاع عن المتصورات أو المعتقدات بطريقة عقلية مع مجاوزة الأسس للمعقول بـ"التخريج"، إذ يتم معه تبرير غير المعقول بالمعقول،إذ يقول في هذا الصدد:"ويحدث عندما تسرقنا رغباتنا إلى قبول معتقد ما.أن تقوم عقولنا ببناء مجموعة من الأسباب المعقولة في الظاهر تحملنا على الظن بأن هذا المعتقد صحيح.ولكن المعتقد لا يكون مع ذلك من مستلزمات هذه الأسباب، وإنما تكون الأسباب من مستلزمات المعتقد.وهذه الأسباب ليست إلا من قبيل التخريج أو التبرير المنتحل لمعتقد يكون التمسك به على أسس منافية للمعقول.وفي مقدور أي شخص له ذهن حاذق أن يخرج أي معتقد مهما كان المعتقد سخيفا"(5).

إذن لا يتم إدراك دوافع التحيز ومن ثمة يخفى وعي الإنسان به،مما يصعب التحرر منه ،بل قد يحاول الإنسان التعمق في عقله في محاولة جادة لكشف هذه التحيزات لكنه يفشل في ذلك،إذ تظل مصادره مستورة لا يدركها الوعي بل تظهر في شكل معتقدات معقولة دوما ،وقد ينجح الباحث في تحيزات الذات في معرفة مصادر ودوافع التحيز بطريقة مغايرة ،وذلك باستخدام المعايير ذاتها التي نستخدمها في الحكم على آراء الغير أثناء الحكم على آرائنا ،فإذا صادفتنا حالة شخص مثلا تتطابق آراءه مع شهواته مما يجره إلى التحيز،ثم وجدنا الآراء ذاتها كامنة في متصوراتنا وجب الشك في آرائنا أيضا ووسمها بالتحيز.

يكشف الانفعال والغضب حال التشكيك في آرائنا ومعتقداتنا تحيزا منبنيا على أسس غير عقلية،والأمر ذاته يصدق على كل مغاير يكون رد فعله على التشكيك بهذا الشكل،"ولا يحتمل لنا أن نفهم فهما كاملا المصادر أو الدوافع غير المعقولة التي نستمد منها آراءنا، ولكن يمكننا الحصول على بعض المعرفة بها إذا تفحصنا آراءنا بالتمحيص والانتقاد والابتعاد عن المماثلة والتعاطف كما نتفحص آراء الآخرين"(6).

ولن يكون الأمر كذلك إلا إذا وازنا بين أحكامنا وأحكام الآخرين الذين يحملون تصورات مغايرة لتصوراتنا، من أجل الوقوف على حقيقة أن الكثير من مواقفنا وحتى وسائلنا العقلية ملتبسة بانفعالاتنا المعروف وغير المعروفة، ومن هنا نصل إلى ما سماه روبرت الاستقلال الفكري الذي يعد الاعتراف بوجود الدوافع

الانفعالية أولى خطوات تحققه،"كما أنه يجب أن لا نرتكب الخطأ الأحمق المتمثل في الافتراض بأننا نستطيع الفصل في المنازعات الجدلية إذا نحن عزونا إلى خصومنا في النزاع أنهم إنما يجادلون من خلال أهوائهم وتحيزاتهم، أو إذا وصمنا حججهم التي يدافعون بها بأنها من قبيل التخريج أو التبرير المصطنع"[7].

إن اهتمامنا بالتحيز ينحصر في الاختلاقات أو الصياغة غير الموضوعية التي تشهدها المنجزات الثقافية والأنماط المعرفية، حيث الترويج لمركزية الذات بوسمها بكل سمات التعاظم والتعالي في مقابل انتقاص الآخر وتعمد تشويه صورته،من هنا ينتفي التمثيل المحايد ليحل محله التنميط الجاهز أو النظرة التفاضلية،"وقد تضافرت المرويات من أجل تمثيل الذات والآخر استنادا إلى آلية مزدوجة الفاعلية أخذت شكلين:ففيما يخص الذات أنتج التمثيل ذاتا نقية، وحيوية، ومتعالية،وفعالة، ومتضمنة الصواب المطلق، والقيم الرفيعة، والحق الدائم، فضخ مجموعة من المعاني الأخلاقية المنتقاة على كل الأفعال الخاصة بها، وفيما يخص الآخر أنتج التمثيل آخر يشوبه التوتر والالتباس والانفعال أحيانا،والخمول والكسل أحيانا أخرى..."[8] ، ليتم استبعاد أمر تقبل النسق الثقافي له، إذ ألصقت بالآخر قيم متعارضة مع القيم السائدة،وهنا ظهر التمايز الذي أفضى إلى جملة تعارضات سهلت على الطرف الأول اختراق الطرف الثاني تخليصا له من ضلاله وخموله ووحشيته، وتسويغ هذا الاختراق.

ويبين عبد الله إبراهيم تأثير هذا الأمر في الثقافة ،حيث قال:"تغلغل هذا التمثيل في تضاعيف التصورات العامة، وتحكم في توجيه الأفكار وصوغها،وركد مطمورا، ولكن بفاعلية كبيرة،تحت أكداس الخطابات، والتصورات، والتخيلات، والممارسات، فحجب، ولمدة طويلة،كل إمكانية للبحث في أمر تعديلها.وهو أمر يوجب إعادة النظر مجددا في كثير مما اعتبر من المسلمات الثقافية،من أجل كشف فداحة الأوهام،وخطورة المصادرات.."[9].

التحيز عند عبد الوهاب المسيري:

ينبني المصطلح على التراكمية المعرفية والحضارية لعدد من الأشخاص يجمعهم انتقاء اتفاقي يتبع بتقنين معتمد، ولكون هذه الانتقائية ستعول على مرجعيات مختلفة فقد رفض "عبد الوهاب المسيري" أن تتم عملية نقل المصطلحات الغربية دون اجتهاد أو تمحيص،فالنقل يتجاهل السياقات الحضارية التي أنتجت المصطلحات في ظلها، وهذا ما يجعل أمر التفكير في إطار مفاهيمي يعتمد

المرجعية العربية أو التوليد من المعجم العربي ضروريا، لكونه يقضي على التحيزات الأيديولوجية الكامنة ويفرض تسميات ذاتية.

إلا أن العرب لم يهتموا بإنتاج المصطلحات وإطلاقها على الظواهر المستحدثة، بل اعتمدوا على رؤى مستعارة وعقلية تطابقية ترتضي الاهتمام بما هو منجز غربي نقلا وشرحا واحتفاء، مهما أبدت من تعارضات سياقية وحضارية قد تخلخل المدرك العام أو الوعي الجمعي وتهدد مرتكزاته، لذلك فالتحيز يقتضي الاعتداد بآراء الذات وإقصاء كل المغايرات، وهذا ما لمح إليه ميجان الرويلي وسعد البازعي في مؤلفهما"دليل الناقد الأدبي" حينما عرفا التحيز بأنه:"ارتباط الثقافة ومنتجاتها بالخصائص المميزة لتلك الثقافة، وبالظروف الزمانية والمكانية التي حكمت تشكل تلك الثقافة ومنتجاتها في مرحلة معينة.كما أن من المقصود بلوغ التحيز حدا يجعل من الصعب فهم تلك الثقافة دون الوعي بجوانب تحيزها لنفسها ولظروفها المكانية والزمانية، بالإضافة إلى ما يخلقه من عوائق أمام نقل تلك الثقافة ومنتجاتها إلى حيز ثقافي آخر دونما غربلة لبعض السمات الأساسية تخلصها من ذلك التحيز أو الخصوصية وتقلل من معدلهما"[10]. ومن هذا المنطلق أطلق المصطلح من قبل المسيري على مجال جديد يختص بدراسة ظاهرة إنسانية تعد من صميم المعطى الإنساني وترتبط بإنسانية الإنسان.

يتساءل عبد الوهاب المسيري :"هل يمكننا تخيل لغة دقيقة تماما،ترتبط فيها الدوال بمدلولاتها بشكل حتمي آلي كامل،لا يفصل بينهما فاصل، ولا توجد بينهما ثغرات،بحيث يكون لكل دال مدلول واحد..؟"[11].يجد الباحث أنه لا وجود للغة دقيقة تتطابق فيها الدوال مع مدلولاتها وتتنافي فيها المسافات أو الثغرات التي تفسح المجال للتعدد، ومن هنا فأي نص حسب ما يراه مجموعة من الدوال المشيرة إلى مجموعة من المدلولات والعلاقات الخارجية من خلال علاقاتها الداخلية. وانطلاقا من هذا الأمر يتراجع المفهوم التطابقي لتتشكل مسافة اختلاف تفصل بين هذا الدال والمدلول، إذ تتشكل هذه المسافة من الأحلام والأوهام والرغبات والأهواء والأفكار والمصالح التي تعمل على الفصل بينهما، وهذا التعدد يضفي إلى الاختيار الذي يعني استبعاد احتمالات كثيرة، والتركيز على اختيار واحد، ومن هنا يخضع الاختيار إلى اجتهاد الذات وهذا ما يجعل الأمر متضمنا صفة التحيز أثناء الاختيار. ويوضح الناقد حقيقة هذا الأمر بقوله:"وقد أدمنا تماما عملية نقل المصطلحات دون إعمال فكر أو اجتهاد،ودون فحص أو تمحيص..،فقد الإنسان العربي الحديث القدرة على تسمية

الأشياء،ومن لا يسمي الأشياء يفقد السيطرة على الواقع والمقدرة على التعامل معه بكفاءة.أما من يدرك الواقع حق الإدراك ثم يصنفه حسب مقولاته، ويسميه أسماء تتفق مع هذا الإدراك أمكنه الحركة فيه بقدر معقول من الحرية، إذ أنه سيراكم المعلومات داخل مقولاته وأطره هو، مما قد يزيد من مقدرته على التنبؤ بمسار هذا الواقع ويحسن من مقدرته على التعامل معه"[12].

ويجمل المسيري أسباب صعوبة نقل المصطلحات في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية فيما يلي:

ـ وجود كل دال ضمن تشكيل أو سياق حضاري محدد يستعمل لغة معجمية معينة.

وضع المصطلح وفق منظور الذات فقط.

العنف الرمزي واختراقات الآخر:

يتشكل العالم من عدة أطراف متباينة،حيث يسعى كل طرف إلى بناء وجوده الخاص وفق اعتبارات ذاتية تبتعد عن حدود المطابقة والتماثل، فالتموضع في إطار الزمان والمكان هو نفي لصفة المشابهة بقدر ما هو اعتراف بالتمايز والاختلاف، لذا فإن الذات لا تحس بكينونتها المستقلة إلا اعتبارا من وجود الآخر المختلف، ووجود التمايز يؤدي إلى اختلاف الرؤى ووجهات النظر،وهذا الوضع يؤدي إلى الاختلاف في الموضوع وإلى الآخر، هذه النسبية تحجب عن الذات معرفة الحقيقة بذاتها وتمنحها معرفتها بتصوراتها أو متخيلاتها،فتغدو الحقيقة متعددة بتعدد الأشخاص بل قد تتعدد عند الشخص ذاته مع اختلاف الزمن،من هنا فالحق كامن في طبيعة الشيء لا في متصوراتنا، وانطلاقا من هذا الأمر يتحدد الإشكال الموالي:كيف يتم تصور الحقائق وإدراكها؟ما هي نتائج النظرة الأحادية للأمور؟كيف نقضي على الجاهزية والصفة التبجيلية والتقديسية لمتصورات الذات؟.

الحقيقة: الاعتبار الحاضر الغائب:

يبين المسيري أن هناك افتراض يقر بوجود حقيقة بسيطة بذاتها،يعبر عنها من خلال المعنى المعجمي للكلمة، وأما المجاز فاستعماله يهدف إلى زيادة قوة التعبير وجماله وتأثيره، من هنا تعتبر الاستعارة والمجاز المرسل والكناية إضافات أدبية ولكنها ليست جزء جوهريا في المعنى، وحسب هذا المفهوم يوجد عنصران:

1- حقيقة موضوعية بذاتها.

2- طريقة التوصيل والآليات المستخدمة في ذلك، وعلى هذا الأساس لا تكون الآليات جزء من الحقيقة، ولأن المسيري يذهب إلى أن المجاز"هو استعمال أية لفظة في غير معناها المعجمي(الحقيقي أو الأصلي) لوجود علاقة بين المعنى اللغوي الأصلي لهذه اللفظة والمعنى المجازي(الجديد) الناتج عن ذلك الاستعمال بشرط وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي للفظة"[13].فإنه يعارض الافتراض القائل بانفصال الآليات عن الحقيقة،ويعتبر المجاز اللغوي بكل أنواعه جزء أساسي في التفكير الإنساني، ومن نسج اللغة ومن عملية الإدراك،لذلك فاستخدامه حتمي في معظم عمليات الإفصاح والإدراك خاصة في الظواهر المركبة تركيبا عاليا.

ويجد المسيري أن هناك مسافة تفصل بين الدال اللغوي والمدلول تتغير حسب مدى تركيبة المدلول،"والمسافة لا يمكن عبورها،ولكن يمكن تقريبها وتحويلها إلى مجال للتفاعل عن طريق المجاز، الذي يوسع من نطاق اللغة الإنسانية،ويجعلها أكثر مقدرة على التعبير عن الإنساني المركب واللامحدود"[14]. والأمر يتم حسب الباحث من خلال العلاقة التلازمية بين المجهول والمعلوم، وبين الإنساني والطبيعي، وبين المعنوي والمادي، وبين المحدود واللامحدود، إذ لا تنجم عن هذه التلازمية مزج عضوي بين الطرفين وإنما تحول طرف من طرفي العلاقة إلى طريقة لاستكشاف الطرف الثاني،حيث تبقى المسافة ماثلة بينهما رغم عملية الربط بينهما.

ويعطي المسيري مثالا بالأسد، فحال مشاهدته في حديقة الحيوان واستعمال عبارة"دخل الأسد قفصه" تجعل من المعنى واضحا ومن المسافة بين الدال والمدلول ضيقة،أما حال مشاهدة رجل بصفات إنسانية نبيلة نجد التعبير عنه بشكل مباشر يجعل من الكلمات المعجمية عاجزة عن نقل هذا الإدراك، لذا نستعير من عالم الطبيعة والمحسوسات بعض الألفاظ لتكون إشارة دالة على هذا الإحساس فنقول مثلا:جاء الأسد،ومن خلال هذا المثال تم ربط المحسوس بالمتعين إي صفات الرجل بصفات الأسد، وذلك وفق عملية مركبة، فكلمة الرجل أفرغنا محتواها الإنساني قليلا، وكذا أفرغنا كلمة الأسد من بعض مضامينها المادية/الطبيعية،وفي المرة الأولى نظرنا إلى بعض جوانب الرجل باعتباره إنسانا، وفي المرة الثانية نظرنا للأسد باعتباره إنسانا واعيا يملك صفات إرادية معنوية كالشجاعة والإباء والقوة..، ومن خلال هذه العملية حاولنا التضييق من المسافة بين الدال والمدلول.

إذن فالتشابه يفترض وجود مسافة فاصلة بين المتشابهين، إذ هما ليسا بشيء واحد وإلا انتفت المشابهة وعد الأمر شيئا واحدا(العلاقة إذن تفترض وجود اتصال وانفصال في الوقت ذاته)،من هنا نجد أن"الحركة العامة للمجاز هي ربط

العنصر المادي البسيط بعناصر معنوية مركبة، وربط ماهو معروف وغير محسوس (عالم الغيب)، حتى يصبح غير المعروف وغير المحسوس أكثر قربا منا نحن البشر الذين نعيش في عالم المادة وداخل حدوده، وإن كنا نحلم بما وراءه"[15]،وهو ما يجعل اللغة العادية تعبر عن طموح الإنسان في الوصول إلى قدر معقول من اليقينية دون طمع في الوصول إلى الحقيقة النهائية، ودون سقوط في العدمية المطلقة التي تنجر عن الاعتقاد بألا حقيقة في الوجود، وعلى هذا الأساس يتحول المجاز اللغوي إلى"أداة الإنسان للتعبير عن أفكار ورؤى مركبة لا يمكن التعبير عنها إلا بهذه الطريقة"[16].

وتتحدد أهمية الصورة المجازية من كونها وسيلة إدراكية،يدرك من خلالها الإنسان واقعه ،ويعبر من خلالها عن نفسه،لذلك فهي ترتبط بالنماذج المعرفية والإدراكية ورؤية الكون.إذن فكل نص مهما كان نوعه يشمل داخله نموذجا كامنا"يستند إلى ركيزة أساسية،عادة ما تترجم نفسها إلى صورة مجازية ،استخدمها صاحبها (بوعي أو بغير وعي) للتعبير عن هذا النموذج"[17].

تعتبر الحقيقة مطابقة التصورات الذهنية الذاتية لماهو كائن في العالم الخارجي، إذ تبنى الأحكام على أساس موضوعي يفترض صحة ماهو صادر عن الذات، ومن هذا المنطلق تكون اليقينية أساس هذه المعرفة وموضوعاتها،مما يعني التعامل معها"باعتبارها الواقع عينه كما هو في جوهره الذي لا يحول، أو باعتبارها تطابق الذهن معه وصدق الإخبار عنه"[18]، لكن مع الخطاب النيتشوي ظهر التساؤل حول مدى ثبوتية الحقيقة وبداهتها، حيث تبين أن الذات هي التي تصوغ حقيقتها بذاتها وحقيقة من حولها، لا كما هي عين الآخر وإنما كمنجز لغوي أو كوعي مصاغ أو كنموذج متعال، وعل هذا الأساس"تغدو الحقيقة بمثابة اشتغال على المواد، أو استخدام للمعايير، أو بناء للنماذج،أو صوغ للوقائع، أو إنتاج للموضوعات، أو تشكيل للخطابات، أو خلع للدلالات، أو ممارسة للذات،نعني ذات النفس، فإذا شئنا مقاربتها ابستمولجيا نقول:إنها ليست يقينا معرفيا،بقدر ماهي منظومة تأويلية تفسر وتوضح، ولكنها تخضع للفحص والجدال، وتقبل هي نفسها التفسير والتأويل. وإذا شئنا مقاربتها أنطولوجيا نقول: إنها انخراط في العالم، وانفتاح على الكون، ونسج علاقة بالوجود يحقق من خلاله الإنسان ذاته بأنماط وإيقاعات مختلفة"[19].

مركزية الذات وصياغة الحقيقة: التشكيلات النمطية للشخصية اليهودية:

تضع كل ذات صورا إدراكية عن العالم الخارجي،تتحول معها إلى مصدر للمعرفة والحقيقة المطلقة، إذ لا حقيقة إلا داخلها ،لذلك لا تعترف بالحقيقة المتجاوزة خاصة في غياب مرجعيات قوية تصمد في وجه المتغيرات الحاصلة،فنظرتها إلى الوجود تتسم بالتمركز حول اعتباراتها، من هنا فالرغبة والتخييل قد تداخلهما المصلحة التي تسهل من عملية نمذجة الفكر وتحويل الوقائع إلى صياغات متماسكة غير قابلة للاختراق من قبل الغير،مما يجعل الذات تقف موقف عداء إزاء الآخر الذي يهدد صفاء هويتها وثبات وعيها،لذلك فالحضور الواقعي يتهدد من خلال هذه الصور النمطية، إذ كل ذات سترى أنها أساس المعرفة والحقيقة، وما جاورها وكان خارج كينونتها يمثل وعيا مزيفا أو صورة إدراكية مشوهة أو تخييلا يلفه الوهم والغموض.وقد بين الدكتور نصر حامد أبو زيد هذا الأمر في قوله:"كثير من العداء في مجال الفكر بصفة خاصة يرتد إلى عدم الفهم أو إلى عمليات التباس ناتجة عن سيطرة نزعة تتصور أن ما في الأذهان مطابق مطابقة تامة لما في الأعيان.."[20].

إن الذات وهي تسعى لخلق صورتها المتكاملة تتغاضى عن ارتباكاتها، بل تعيد صياغتها لتخدم تمركزها وذلك بتحويلها إلى تنميط جاهز يجاوز في اعتباراته باقي الذوات التي يجب عليها أن تسعى جاهدة إلى مماثلتها لتصل إلى صفة الكمال.وما يلاحظ عن هذه النظرة هو إغفالها لصيرورة المجتمعات وطبيعة تحولاتها وخصوصياتها وإقصائها الاختلاف والتباين، فالقيميات في معظمها تتجه نحو التعارض إلى حد التناقض التام، إذ لا قيمية ثابتة، كما أن كل مجتمع يخلق قيمه بنفسه ويصوغها بحسب رؤيته ،لتتدخل عناصر أخرى في هذه الصياغة كالتاريخ والدين والعامل الجغرافي وطبائع الناس...،وبما أن كل تلك الموجهات غير ثابتة بل تختلف من مجتمع إلى آخر،فإن مركزية الذات تتهدم بمعول الشك وتعارض المصالح والتوجهات.

إن هذا الانغلاق الأنوي يساعد على إقصاء جميع الاحتمالات ونبذ كل النماذج التي تغاير الذات في نوع من الاصطفاء والتعالي، ونتيجة ذلك أصبح"أنا(وليس غيري) من يمسك بقياس الحقائق، وبالتالي فأنا من بيده الحسم. كما لو أن وعيا ثانيا قد نما في داخلي، كما لو أن الإرادة قد سلطت نورا على الطريق المعوجة التي

كانت تنحدر عليها حتى ذلك الحين..الطريق المعوجة التي تسمى الطريق إلى الحقيقة..إنها نهاية كل ذلك النزوع القاتم"[21].

لقد سمى نيتشه الحقائق المصاغة صياغة ذاتية بالأصنام،لذلك أعلن عن أفولها، مما يعني نهاية الزمن الفلسفي القديم المحتفي بالمعيارية الثابتة وبالجاهزية في النظر إلى الأشياء والحكم على الموضوعات الخارجية، ليبدأ زمن الحقائق الجديدة والمتعددة،حيث تهديم التصورات القبلية الثابتة.إذن تعاملت الفلسفة القديمة مع النص كبديهيات مطلقة لا تجب مناقشتها، حيث ينغلق على نفسه وعلى اعتباراته،ولا يمنح متلقيه إلا حقيقة واحدة، هي أساس العالم ،ومن ثمة يتم تفسير الظواهر وفق مركزية هذه الحقيقة،لتغيب كل الاحتمالات المغايرة وتطردها ناحية الإقصاء والتجاهل، لكن مع عصر ما بعد الحداثة ومع ظهور الخطاب التقويضي أعلن عن موت الحقيقة، فلم يعد يعتد بالصياغة المؤدلجة ولا بالعقل ومنجزاته، من هنا صارت الريبة تسيج كل الخياطات مما سهل اختراق مركزية المعنى والبحث في محايثاته أو ما سكت عنه الخطاب، فغدى لكل خطاب حقيقته، وهذا التعدد الذي افترضته الاحتمالية تطرد الدلالة الجاهزة والنهائية وتحتفي بالإمكانات الدلالية المختلفة.

تصوغ الذات معاييرها الخاصة للحكم على الآخر،وعلى العالم الخارجي،حيث تعتبر أن كل ما هو نابع عنها هو ما يمثل الحقيقة المتحققة، إذ يتم تغييب البدائل ومعالجة الأمور وفق مدركات أحادية وواحدة لا تحتمل التعدد، لذلك فالذات هنا هي مصدر المعرفة الكاملة ومصدر الحقيقة. وقد بين المفكر اللبناني علي حرب خطر الأحادية في قوله:"الأحادية هي من أكبر العوائق التي تعرقل مشاريع الإصلاح والتنمية والبناء، لأنها تقوم على تبسيط الواقع المعقد، بقدر ما تتعامل بمنطق الثبات والجمود والبطء مع ماهو محتمل ومتحول ومتسارع. والنتيجة هي الفشل والإخفاق والتراجع، فالأجدى والأغنى مقاربة العالم بفكر مركب وعمل تركيبي يأخذ بعين الاعتبار ما ينطوي عليه الواقع في مجالاته وقواه وجوانبه ومستوياته من التعدد والتداخل والتشابك والتراكب والتفاعل"[22].

انطلاقا مما سبق استنتج عبد الوهاب المسيري أن اليهود بنوا تعريفاتهم على أسس دينية أوعرقية أو إثنية، حيث قاموا بتنميط شخصياتهم، حيث يؤكد الكثير من الباحثين اليهود تفوقهم العرقي، لذلك طالبوا ببقاء صفائه وعدم الاختلاط من خلال الزواج بغير اليهود، فاليهود يعدون أنفسهم أكثر موهبة وأكثر عبقرية، لذلك كثيرا ما يستعملون النظريات البيولوجية والعرقية ويعيدون صياغتها بما يخدم

تمركزهم، ولو أن "جودت السعد" يقول:"يدرك معظم اليهود مدى عمق المغالطة في الادعاء بنقاء العرق اليهودي، ومع ذلك فكل اليهود تقريبا يلحون عليه كحالة مسلم بها حفاظا على التعصب التوراتي والهوس الديني"[23]، ولكن"على الرغم من جميع هذه المحاولات الصهيونية، لم تستطع الدعوة.

مرجعيات النسبية في تصور الحقائق:

لشخصية عنصرية مشتركة أن تصمد طويلا، لأن النظريات العنصرية ونظريات التفوق العنصرية ليس لها سند علمي قوي،كما أن كثيرا من الغموض والتشويش سيشوبها"[24].

إن الذهن البشري عاجز عن إدراك الحقيقة الموضوعية، فالمعرفة الكامنة قاصرة عن استجماع العناصر المدركة كلها نظرا لتدخل مرجعيات مختلفة في صياغتها النهائية،هذا الأمر يجعل من إدراك الحقيقة عبارة عن تمثلات ذهنية متخيلة أكثر منها واقعية،لذلك فهي لا تدل على ذاتها بذاتها وإنما عنها كما هي منجز أو وعي محايث في طور الانجاز، لذلك فتورط هذه المرجعيات في صياغة الحقيقة يوقعها في مأزق النسبية بحكم أن لكل ذات إدراك خاص،مما يجعلها تنظر إلى الموضوع وفق رؤيتها الخاصة غير البريئة من تحيزاتها أو من إكراهات العالم الداخلي والخارجي المحيط بها. لذلك يقول "روبرت":"ونحن أيضا لا نألو بهذا في الدفاع عن أهوائنا وتحيزاتنا بالمحاجة العقلية، ولكن هذه المحاجات لا تكون السند الحقيقي لهذه الآراء وإنما تكون قائمة على أسس أخرى غالبا ما تكون مجانبة للعقل"(25). ومن أهم المرجعيات نذكر الرغبة والتخييل، إذ يقول عنهما عبد الله إبراهيم:"كان اختزال الشرق إلى صورة،هي من نتاج ازدواج المخيلة والرغبة، ألحق ضررا بالغا في الشرق والغرب على السواء..وبتراكم صور التغييب الحقيقي الذي مورس ضد الشرق، أصبح الشرق والعربي منه على وجه التحديد يدور في نواة غامضة..منفرة إلى حد ما"(26):

1. الرغبة:

يتم اصطناع صور نمطية عن الآخر بحسب مكانته وموضعه من الذات،إذ تتدخل الرغبة والمصلحة في صياغتها وإعطائها بعدا ذاتيا يبعدها عن حقيقتها كذات مقابلة، لها من السلبيات كما لها من الإيجابيات، فإما أن تتعارض الرغبات والمصالح فتكون العلاقة في شكل عداء مطلق ورفض متبادل،وإما تتقارب فتتحول العلاقة إلى صورة تجاور وصداقة....، ومن هذا المنطلق تختلف الصور،ففي الحالة الأولى تضع كل ذات"صورة للآخر على سبيل القدح

والتبخيس أو التشنيع والتشويه، بنعته بالكفر والشرك أو البدعة والهرطقة أو العمالة والخيانة أو الرذيلة والدناءة أو التخلف والهمجية...وفي الحالات القصوى من العداء يجري التعامل معه كشيطان أو بعبع"[27]، وقد يتم استدعاء أوصاف تبخيسية من الذاكرة بهدف الانتقاص والتهميش، وأما في الحالة الثانية تكون الصور المركبة متعالية عن حقيقتها،إذ تصل إلى حد الملائكية المزعومة أو التقديس ثناء وامتداحا. لذلك وانطلاقا من هذا الأمر وبسبب تأثير الهوى والرغبة"نكون تحت هذا التأثير ميالين إلى تصديق ما نرغب في تصديقه أو ما نحتاجه أن يكون صحيحا وإلى إنكار ما نرغب في إنكاره أو ما نحتاجه أن يكون باطلا"[28].

يبين المسيري كيف أن الرغبة الاستيطانية الموجهة يتم إسقاطها في شكل آليات خطابية أهمها إعادة الإدماج، إذ تتجاوز الصياغة الأيديولوجية إلى إدماج بعض الخطابات الغيرية التي أنتجها صهاينة أغيار أي غير يهود تحقيقا لمصالح استعمارية إنجليزية- رغم رفض الجماعات اليهودية حينها لفكر الصهيونية-،كما أن التعبئة الممنهجة التي تحاول تحويل المدرك العالمي العام إلى رؤية مصلحية (اليهود سيعينونهم على حماية مصالحهم الإمبريالية في فلسطين)، تحول اليهود إلى ملحق هامشي بالنسبة إلى الغربثم في الرؤية الاستعلائية إزاء فلسطين، وهذا التحويل يهدف إلى خلق تموضع مركزي مدعم، إذ هو تحويل إلحاقي في سبيل الحصول على التأييد،"وهذا الإدراك بأن الدولة الصهيونية دولة تابعة، مجرد مستعمرة،هو الصفة المميزة لجميع المدارس الصهيونية سواء أكانت عمالية أو عامة أو سياسية"[29].

2 التخييل:

إن معظم الأحكام التي نصدرها في حق الآخر خاطئة لابتعادها عن صفة الموضوعية، فحينما يكون الالتباس صبغة الرؤية الموجهة إزاء الآخر، يعمل التخييل على إنتاج صور نمطية حدودها التهميش والانتقاص، إذ الجهل بالآخر حينما لا يكون مجاورا للذات يؤدي إلى الانغلاق الفكري والأيديولوجي.

إذن يعمل التخييل على توجيه مدركاتنا إزاء تمثل الحقيقة وفهمها،حيث يقوم بانتقاء عناصر تخييلية محددة يستمدها من عدة مرجعيات داخلية وخارجية(الميول . الأهواء المصلحة..)، ومن هنا فالحقيقة هي ما يتصور في الذات إزاء ماهو خارج عن نطاق تمثلها وخارج عن حدود تشكلها، لذا وجب الاعتراف بكونها وعيا موجها أو تصورا يسيجه التحيز إلى اعتبارات محددة دون أخرى.

آليات تغيير الحقائق:

يتشكل الوعي الإنساني من منطقة محايثة بمحاذاة الذات المركزية،حيث يطرح فيها جميع المتجاورات باعتبارها عرض زائل، لا أهمية لوجوده إلا بما يحقق تجانس الذات، وأما دخوله كمدرك مغاير يوقعها في مأزق التداخل بين الاعتراف والرفض، من هنا وجب إقصاءه من جملة المدركات وطرده ناحية اللاوعي أو الوعي المتذبذب، حيث يتم اختزاله إلى صورة منتقصة أو واقع افتراضي هزيل واختراق كينونته بتحويلها إلى جزئيات متخيلة وإدراكات جزئية منتقاة من الكل بحسب ما يخدم الذات، ويتم ذلك من خلال آليتين:التعتيم والاستقطاع.

1. الاستقطاع:

ونعني به فصل الصور عن بعضها البعض أو عن سياقاتها،أو ما يسمى بالإدراك الجزئي للظاهرة، حيث يعمل العقل على الاحتفاظ بالأجزاء المتخيلة التي تناسبه وتناسب رغبته، لتتحد الرغبة مع التخييل، إذ يتم تغييب إدراك الظاهرة إدراكا كليا، وهذا الأمر يؤدي إلى معرفة ناقصة تفتقد الموضوعية، لأنها تهمش أو تلغي أجزاء محددة من الصورة الإدراكية وتقوم بعملية انتقاء.هذه العملية تنطوي على تحيز واضح لجملة اعتبارات على حساب أخرى قد تكون في مضامينها أقرب إلى الصواب، ومن هنا يتم تغييب الحقائق والتلاعب بها بما يناسب ميول الذات وأهوائها. إذن فهذه المعرفة قاصرة مشوهة لا تدل على حقيقة الموضوع وإنما على جزء منها فقط، وهذا الأمر يصعب من عملية الإدراك الحقيقي وينتهي إلى تلاعب واضح بالحقائق، من هنا فوعينا بالحقيقة يكون وعيا ناقصا غير متكامل.

وهذه الآلية لمح إليها المسيري في قوله:"ولا يوظف اللوبي اليهودي الصهيوني عناصر اليهودية والصهيونية وحسب، وإنما يوظف عناصر ليست يهودية ولا صهيونية(بل قد تكون معادية لليهود واليهودية) ولكنها مع هذا توظف نفسها دفاعا عنه وعن مصالحه، بسبب الدور الذي تؤديه الدولة الصهيونية في الشرق الأوسط بسبب تلاقي المصالح الإستراتيجية الغربية والصهيونية"[30]. وربما هي ما سماها بالحقائق الكاذبة ويعرفها بقوله:"هي ذكر مجموعة من الحقائق الصارمة بعد نزعها من سياقها وإخفاء عدد كبير من الحقائق الأخرى، وبذلك يمكنهم فرض المعنى الذي يريدون على الحقائق التي يذكرونها"[31]. ومن هنا فالاستقطاع يحمل نزعة إيديولوجية مخبأة، حيث يلوي عنق النص من خلال اقتطاعه من سياقه العام، ويقدم مثالا عن هذا الأمر بالتفسيرات الحرفية للنص المقدس، حيث يبين

أن المفسر ومن خلال الاجتزاء يأخذ"أي نص من كتابه المقدس ويعزله عن النموذج العام الكامن والرؤية العامة،ثم يفرض عليه ما يشاء من معنى...، ثم يقوم بتوظيفه بالطريقة التي تعن له،والتي عادة ما تتفق ومصلحته"[32].

ويقدم المسيري مثالا بالأسطورة الصهيونية المركزية التي تفترض أن اليهود كانوا يعيشون في فلسطين بشكل متماسك،حتى غزى القائد الروماني بجيوشه البلد فهدم الهيكل وهزم اليهود، بل وطردهم وشتتهم في مختلف بقاع الأرض، ومع هذه القصة تظهر مفردات:المنفى ـ الشتات ـ الدياسبورا....، وتظهر معها رغبة اليهود في العودة إلى أرض الميعاد إنهاء لحالة الشتات وتأسيسا لدولتهم الصهيونية وكذا من إعادة بناء الهيكل، والخطاب الغربي كله يدور حول هذه الأسطورة.المسيري هنا شكك في هذه القصة حينما لاحظ أن أغلبية اليهود في العالم لم تتخل عن منفاها حتى تعود لأرض الميعاد، لذلك عاد إلى التاريخ مختبرا مصداقية النموذج الصهيوني وقدرته التفسيرية، ويقول بهذا الصدد:"وجدت أن ما أتى به الصهاينة هو حقائق والحقائق غير الحقيقة، فالإحصائيات التي ذكروها لترويج أساطيرهم لم يتم تزييفها ولكن تم ماهو أسوء من ذلك،إذ تم نزعها من سياقها التاريخي ولذا نسميها أكاذيب حقيقية أو حقائق كاذبة،لأننا إن نظرنا إلى الإحصائيات الخاصة بأعداد اليهود قبل هدم الهيكل، سنكتشف أنه قبل هدم الهيكل كان عدد اليهود الموجودين خارج فلسطين يفوق عددهم داخلها. وكان عدد يهود الإسكندرية(الذين نسوا العبرية والآرامية وكانوا يتحدثون اليونانية) يفوق عدد يهود القدس بعدة أضعاف،فاليهود لم ينفوا ولم يشتتوا قسرا وإنما انتشروا وحسب،شأنهم في هذا شأن كثير من الجماعات البشرية الأخرى"[33].

أما تيتوس فيذكر المسيري أنه حربه لم تكن ضد اليهود، وإنما ضد فريق منهم فقط، إذ كان في جانبه جيش يهودي بقيادة ملك اليهود "أجريبا الثاني"، بل كان هذا الملك الروماني يرغب في الزواج من أخت الملك اليهودي لولا اعتراض الأرستقراطية الرومانية....

2 التعتيم :

ويقصد بالتعتيم إلغاء كل الصور الإيجابية، حيث يهدف الأمر إلى التعمية بإقصاء الحقائق إقصاء كليا،وهذا الأمر يؤدي إلى ما يسمى باللامعرفة، حيث تغيب المعرفة بشكل تام، فالذات هنا تدرك ما للآخر من مميزات لكنها تتجاهلها من أجل بناء نسق معرفي منغلق عن الآخر، لأسباب أيديولوجية وسياسية واجتماعية...، حتى لا تفسح المجال للذوات المتجاورة التي من نفس نسقها المعرفي

أن تتعرف على عوالم الآخر،ليبقى الشك والحذر والكراهية لغة هذا النوع من الذوات، وهنا تتم أدلجة العقل وأدلجة المعرفة وأدلجة التاريخ....، فمصطلح مثل الفراغ . حسب ما يراه المسيري . يستخدم للإشارة إلى الشرق العربي، حيث يفرغ من محتواه ليصبح أرضا بلا شعب ولا امتداد حضاري عريق، ويتحول الوطن إلى رقعة جغرافية مجردة من التاريخ ،ومن هنا يتحول الإدراك الغربي نحو تغييب الحقيقة،"وحينما نتحول إلى أكثر من مجرد مساحة، فإن الإدراك الغربي للمنطقة (وهو إدراك تحدده مصلحته كما يراها هو أو كما تراها نخبته الحاكمة ومؤسسات صنع القرار فيه) يرى وطننا العربي على أنه منطقة مأهولة بشعوب وقبائل وأقليات معظمها تتحدث العربية وتدين بديانات مختلفة لا يربطها رابط حضاري أو اجتماعي واحد لكل مصلحته الاقتصادية ومستقبله السياسي المستقل"[34]، من هنا تتحدد مهمته في فك أي ترابط حتى يسهل الاختراق.

ويمكن الاستدلال عن هذه الآلية بما أورده المسيري تفكيكا لمصطلح المنطقة، حيث يقول:"والمفهوم الصهيوني لعالمنا العربي يتفق تمام الاتفاق مع المفهوم الغربي، فالصهاينة يشيرون إلى فلسطين باعتبارها"أرضا بلا شعب"، وإلى الضفة الغربية باعتبارها"يهودا والسامرة"، وهي مصطلحات تلغي التاريخ العربي تماما،وهم يشيرون إلى الشرق الأوسط على أنه "المنطقة" وهو اصطلاح يشبه في كثير من الوجوه اصطلاح "الفراغ"، فكلاهما يؤكد فكرة أن عالمنا العربي مكان بلا زمان، وجغرافيا بلا تاريخ، أو مساحة تسكنها شعوب عديدة متفرقة متناثرة"[35].

وفي حديثه عن النازية يبين المسيري أن العرب حاولوا إقحام الجريمة النازية داخل التاريخ العربي تبريرا للاستيطان الصهيوني الذي يظهر وكأنه تعويض لليهود عن الضرر اللاحق بهم، ومن هنا تنجز الدعاية الصهيونية ذلك بموالاة الغرب من خلال آليتين أساسيتين:

أـ تعيد الدعاية الصهيونية صياغة المدرك العام بإقصاء الحقيقة خدمة لمصالحها، إذ تصور مقاومة العرب للغزو الصهيوني لفلسطين بأنها دعم للنازية بشكل مباشر أو غير مباشر،لأنهم حرموا على اليهود المهاجرين الدخول إلى فلسطين في بعض الأحيان."ومثل هذه الحجة لا أساس لها من الصحة: فالمقاومة العربية لم تكن ضد مهاجرين يبحثون عن المأوى وإنما كانت ضد مستوطنين جاءوا لاغتصاب الأرض وطرد أصحابها، تحت رعاية العالم الغربي، وبدعم من حكومة الانتداب البريطانية"[36].

ب ـ تتعمد الدعاية الصهيونية تزييف الحقائق وفبركتها، إذ تتعمد إظهار أن بعض الساسة العرب تعاطفوا مع النظام النازي،وهذا الأمر لا أساس له ويفنده الواقع، إذ أن معظم الحكومات العربية حالفة الحلفاء، كما أن النظرية النازية العرقية تأسست على عنصرية إقصائية بوضعها العرب وباقي المسلمين في مستوى واحد مع اليهود، لذلك فالتحالفات هنا تكون مؤقتة تحكمها الحاجة والمصلحة."وهؤلاء الساسة(وبعض القطاعات الشعبية) ممن أظهروا التعاطف مع النازيين فعلوا ذلك لا كرها في اليهود أو حبا في النازيين، وإنما تعبيرا عن عدائهم للاستعمار الانجليزي والاستيطان الصهيوني وهو، على أية حال،تعاطف يعبر عن سذاجة وعن عدم مقدرة على القراءة الجيدة للأحداث، وعن عدم إلمام بطبيعة الغزوة النازية ومدى تجذرها في المشروع الحضاري والإمبريالي الغربي، ومدى رفضها العنصري للمسلمين والعرب"[37].

نتائج تغيير الحقائق من منظور الباحث:

انطلاقا من هذا الأمر يمكن حصر نتائج تغيير الحقائق أو التنميط الجاهز من خلال هذه الآليات، في ثلاث مستويات تتعامل بها الصهيونية مع الإنسان العربي في سبيل تجريده من وجوده المتعين حتى يختفي ويتحول من العربي المتخلف إلى العربي الغائب . وذلك طبعا بالعودة إلى استنتاجات عبد الوهاب المسيري . وهي:

1- مواجهة الإنسان العربي من المنظور العنصري الشائع (تخفيض العربي) :

يتم تنميط الشخصية العربية تنميطا جاهزا، بوسمها بكل سمات الانتقاص من تخلف وغيره، وذلك تسويغا للعنف المرتكب ضدهم، ومن ثمة يصبح العربي في المخيال الصهيوني رمزا للفردية والتفكيك ،والكذب والاحتيال وخداع الذات والمبالغة،كما أنهم . بعكس اليهود . صورة واضحة عن الكسل والجبن والخيانة، لذلك فسمستوى ذكائهم منخفض، ومن ثمة فموضعيتهم دونية لا ترقى إلى مستوى الموضعية الإسرائيلية.

ويبين المسيري أن هذه الأوصاف تشيع كثيرا في الاعتذاريات العنصرية وفي أدبيات الاستعمار الأوربي،"فالوصف هنا ليس وصفا للعربي، بقدر ما هو وصف لأي آسيوي أو إفريقي(أو حتى أمريكي أسود)،وقد سبق أن بينا أن الاستعمار الصهيوني، في أحد تصوراته لنفسه،كان يرى أنه جزء (تابع) لا يتجزأ من الحركة الإمبريالية الغربية، ومن الهجمة العسكرية الحضارية على الشرق العربي لإدخال الحضارة والسكك الحديدية والبلاستيك والقنابل..ومن هنا كانت هذه الأوصاف

عموميــة لا تركــز علــى الســمات المتعينــة للضــحية"[38]. ولابــد لأي تفكــير عنصــري ملازمــة التجريــد والتعميــم والانتقائيــة، وإلا جوبــه بوجــود متعــين محســوس يتميــز بقيمــة حضــارية أو إنســانية، ولــه كيــان مســتقل وهــذا الأمــر يصــعب مــن عمليــة تقبــل الاعتذاريات التي تسوغ استعماله.

2. العربي ممثلا للأغيار (تجريد العربي) :

تتشــكل في الأدبيــات الصــهيونية صــورة نمطيــة تتأســس علــى جاهزيــة الأحكــام وعلــى التجريــد والتحديــد في الوصــف، هــذه الصــورة تكــون عــادة مركبــة (اليهــودي الخالص/الأغيــار)، ففــي الوقــت الــذي تكــون فيــه ســمات الطــرف الأول محســومة ،يظهــر الطــرف الثــاني . أي الأغيــار . بوصــفه قاتــل ذئــب مــتربص باليهود،عــدو للســامية،ويدخل العــربي . وخاصــة الفلســطيني . تحــت خانــة الأغيــار المســيجين بهــذه الأوصــاف الانتقاصــية،حتى تتلاشــى ملامحــه أو قســماته، وأمــا عــن صــورة العــربي في المســتقبل ،"ســتجد أن الزمــان قــد تجمــد وألغــى كمــا هــو الحــال في الكتــابات الصــهيونية، فالأغيــار ذئاب في الماضــي، وذئاب في الحاضــر، وذئاب في المســتقبل. والإنســان العــربي الخــانع الخاضــع للعنــف الصــهيوني، هــو نفســه الإنســان العــربي المقاتــل الأزلي ضد العنف الصهيوني: كلاهما جزء من مخطط ميلو درامي أزلي"[39].

3. تــهــمــيــش الــعــربــي :

تهــدف عمليــة التجريــد الســابقة حســب المســيري تهمــيش العــربي وإقصــاءه حــتى لا يخلــق لنفســه مركزيــة واضــحة إزاء القضــية الفلســطينية،"والعربي الهامشــي نمــط أساســي في الإدراك الصــهيوني للغــرب.إن الصــهاينة ينكــرون وجــود أيــة هويــة سياســية للعــرب عامة،وللفلسطينيين على وجه الخصوص، أو أية مشاعر قومية من جانبهم.."[40].

وإضــافة إلى ذلــك اعتــبر الصــهاينة الفلســطيني أو العــربي حيــوانا أو مخلوقــا اقتصــاديا يســير وفــق دوافــع اقتصــادية محــددة، لــذا يمكــن حــل المشــكلة العربيــة اقتصــاديا لا سياســيا، وهــذه الاســتراتيجية الإدراكيــة يقــدم لهــا المســيري مثــالا بشخصــية رشــيد بــك، العــربي المختلــق وفــق صــياغة صــهيونية في روايــة هرتــزل "الأرض الجديــدة القديمــة"، إذ يصــور أن الوجــود الصــهيوني عــاد بالنفــع الكبــير علــى العــرب وذلــك بازدياد صــادرات البرتقــال عشــر مــرات، ويصــور أن الهجــرة اليهوديــة جلبــت الخــير والبركة،خاصة لملاك الأراضي الذين باعوا أراضيهم بأثمان باهضة.

4. الــعــربــي الــغــائــب:

يلحــظ عبــد الوهــاب المســيري أن الصــهاينة يعتقــدون أن في ذكــر العــرب والتشــهير بهــم اعــتراف ضــمني بهــم، لــذلك يحــاولون تغييــبهم وذلــك بوضــعهم في إطــار مقولــة الأغيــار الــتي يحكمهــا الكثــير مــن التجريــد، ويؤكــد في هــذا الصــدد أن"هــذا الاتجــاه

يصل قمته فيما يمكن أن أسميه مقولة العربي الغائب، فبدلا من الإخفاء الجزئي خلف مقولة مجردة،تصل محاولة الإخفاء إلى حد الإغفال الكامل، فالصهاينة أحيانا لا يكرون العربي بخير أو بشر، ويلزمون الصمت حيال الضحية، ويظهرون عدم الاكتراث الكامل بها"[41].

الآخر كذات مخترقة:

تسعى كل قيمية إلى بناء نموذج خاص متجانس ومنغلق، وحتى تحتفظ لنفسها بصورة الكمون المركزي تحاول تهديم مرتكزات القيميات المغايرة، وذلك بخلق صور نمطية عن الذات أساسها التعالي والفوقية، وعن الآخر أساسها الانتقاص والتهميش، ومن ثمة فكل ما ينبع عن الذات يمثل الخير المحض أو الزمن المتجانس الذي يضفي إلى ثبوتية واضحة واستقرار بنية المتخيل والفكر، ومن ثمة بنية المجتمع الذي هو صورة لذلك الفكر، أما الآخر فهو الشر المحض الذي يهدد هذا التجانس بتشتيت اعتباراته والقضاء على تماسك زمنه وعلى المتخيل الأحادي أو الذاكرة التي تجمعت عناصرها في إطار منغلق، ومن هنا فصورة المجتمع تتفكك مما يشكل تهديدا واضحا لمركزية الذات واصطفائية حضورها، إذ سيضفي إلى النرجسية التي"تثير النعرات وتغذي النزاعات بين الطوائف، بقدر تجعل الواحد ينام على منجزاته ويغرق في سباته"[42].

إذن يبني العالم اعتباراته بالنظر إلى صيغة التعارض، حيث لغة الخلاف والرفض أضعفت من الوعي بالمغايرة، وأسهمت في خلق عالم من التعارضات، من هنا سعت كل ذات إلى بناء نموذج تصوري واختلاق بعد رؤيوي اعتبرته الحقيقة المطلقة، حيث تغاضت عن ارتباكاته أو كونه صيغة جاهزة لا تدل على حقيقة الموضوع والذات،وإنما على ما تتصوره الذات إزاء الآخر وإزاء ذاتها وإزاء العالم ككل، وهذا الأمر أدى إلى الاصطفاء والنرجسية الفكرية وإلى التعالي والفوقية، إذ كل ذات حاولت تعميم نموذجها بإقصاء المغايرات والاختلافات الطبيعية وخلق هوية أحادية لا تعترف بحدود الهويات الأخرى أو بالخصوصيات المتجاورة،كما سعت إلى نشر قيمها والنظر إليها على أنها الوجه الأكمل والأمثل والذي يجب أن تتمرأى به جميع المجتمعات على اختلافها. وهذا الأمر لا تختلف حدة خطورته عن الإغراق في الذات والانعزال عن الآخر، وقد قدم الدكتور سعد البازعي توصيفا للموضوع من خلال اعترافه بأهمية حضور الآخر وحيوية دوره، "لكن ذلك الحضور يمكن أن يكون خانقا إن هو تحول إلى منظور طاغ ووحيد ملغيا الخيارات الأخرى أو مؤديا إلى تهميشها.كما يمكن للآخر أن يكون خانقا أيضا

إن نحن مارسنا تجاهه دورا انعزاليا إقصائيا يرفض ذلك الحضور ويتجاهله مؤديا بذلك إلى حالة من الفقر والجفاف الحضاري. فإذا كانت الأولى تتذرع بالانفتاح لتخلص في النهاية إلى نوع من الانمساخ أو التشوه، فإن الحالة الثانية تكون أشبه بمرض الاكتئاب أو التوحد على المستوى الثقافي"[43].

إن مثول الآخر في الوعي الإنساني بصورة النقيض هي التي تؤسس مسافة فارقة وهي ما نسميه بالاختلاف،ذلك أن هذه الغيرية وتحديدها يتضمن موقفا أخلاقيا بالدرجة الأولى يضاف إلى الموقف المعرفي، من هذا المنطلق نجد أنفسنا إزاء سياقين رئيسيين يحددان دلالات"الآخر""السياق الأول معرفي وعلى ضوئه يبدو الآخر مفهوما تكوينيا للهوية، أي للذات وهي تحدد هويتها، فلا هوية بدون آخر،.....أما السياق الثاني، فسياق قيمي/أخلاقي يكتسب الآخر من خلاله قيمة أو موقعا في سلم تراتبي يكون من خلاله مقبولا أو مرفوضا، طيبا أو سيئا.."[44].لكن يظهر الإشكال حينما"ينازع كل طرف حق الآخر في الوجود. وتبلغ المأساة ذروتها بإعلان كل فريق عن أن الآخر هو العدو" [45]. وقد عبر المفكر علي حرب عن هذه الحالة حينما قال:"والصور النمطية السلبية تعبر عن حالة العداء وتجسد استراتيجية الرفض المتبادل،بين الجماعات،سواء على أساس ديني أو قومي أو حضاري، بقدر ما تعكس حالة الجهل الزدوج بالأنا والآخر.ولذا لا تعرى منها جماعة بشرية.ما من مجتمع...إلا ويصنع صورة للآخر على سبيل القدح والتبخيس أو التشنيع والتشويه"[46].

انطلاقا مما قلناه يستنتج عبد الوهاب المسيري اعتذارات صهيونية، تظهر في صيغة تبرير للاستيطان، تحدد علاقة اليهود بغيرهم وذلك من خلال تنميطات جاهزة، أهمها:

أ.عبء اليهودي الأبيض:

يتم تبرير الاستيطان بجلب الحضارة، حيث يكون التأكيد على صيغة المفاضلة بين الأجناس وتبريرها تاريخيا من خلال ذاكرة مصاغة أيديولوجيا، "ولاشك أنها طريقة غريبة ومدهشة أن تدخل الحضارة إلى شعب عن طريق إبادته"[47]، حيث يلحق اليهودي الغربي نفسه بالغرب أو الرجل الأبيض، متحررا من المرجعية السياسية، وذلك بسبب كل ما روجه الرجل الأبيض في صيغة تعاظم من فوقية ذاته ومركزية حضوره في العالم ومبرر تفوقه الحضاري، "فالإنسان الأبيض في هذه المنظومة هو مثل اللوجوس المتجسد أو موضع الحلول ومركز الإطلاق والركيزة النهائية للكون والتاريخ والذي يدور حوله ويكتسب معنى من وجوده في مركزه. ولهذا، فإن

حقوق هذا الإنسان مطلقة وتحب حقوق الآخرين" [48]، ومن هذا المنطلق آمن تيودور هرتزل بتفوق الرجل الأبيض، لذلك تحدث عن الإمبريالية بوصفها عملا نبيلا لأنها تجلب الحضارة إلى الأجناس المغايرة وتقضي على الجهل، "وتؤكد كثير من تصريحات الصهاينة أنهم لا يعتبرون أنفسهم كيانا عنصريا منفصلا فحسب،بل يعتبرون أنفسهم أيضا أعضاء في الجنس الأبيض" [49].

ب. عبء اليهودي الخالص:

لليهودي الخالص موضعية متحرر من أي مرجعية ،فهو لا يرتبط بأي جنس أو حضارة شرقية أم غربية، لذلك تصبح لهم موضعية مستقلة إذ لا يكونون مجرد سلالة من الجنس الأبيض أو الحضارة الغربية، من هنا فاليهودي الخالص يصبح كما الأبيض المتفوق له حقوق مقدسة وخالدة وثابتة لا تغيرها أية مطالب تاريخية، حيث يحرم الفلسطينيون من مثلية الحقوق الممنوحة لليهود."وفي هذه القداسة يذوب الفلسطينيون، وتصبح مطالبهم أمرا هامشيا وتافها، ولقد تحقق كل ذلك دون اللجوء لأية نظريات عرقية فاضحة.."[50].

ويوضح المسيري أن أسطورة الحقوق الأبدية لليهودي الخالص في أرض فلسطين، والتي تحول السكان الأصليين إلى مكون هامشي وعرضي، شكل من أشكال الاعتذاريات التي تتسم باللاأخلاقية والغموض بدرجة أكثر مماهما في الاعتذرايات العنصرية التقليدية، والتي توزع التفوق والتدني الحضاري بشكل تراتبي وتحيزي بينها وبين مغايرها، إذ الأساطير التقليدية تحتي على اعتراف بالمغايرة، أما الأسطورة الصهيونية الخاصة بالحقوق اليهودية فتقصيها بشكل نهائي.

ويرى المسيري أن هذه الأسطورة لا تسبب حرجا كبيرا للصهاينة أو مؤيديهم في الغرب، لأنها تتأسس على عنصرية غير تقليدية وغير واضحة، كما أن مدى تحقيقها محدود بحكم أن الحقوق اليهودية المقدسة محصورة في فلسطين دون العالم، عكس الاعتذاريات العنصرية التقليدية التي تحدد مكانة مركزية لجنس بعينه في أي مكان من العالم حل به.

ج. عبء اليهودي الاشتراكي:

قدمت أسطورة الاستيطان العالمية حقيقة ملتبسة، وذلك بعد أن أظهرت الصهيونية نفسها بأنها الحركة التي تضطلع بتحويل الشباب اليهودي ثوريا،إذ الأسطورة هنا تسوغ فعل الاستيطان الصهيوني على أسس اشتراكية علمية لا على أساس التفوق العنصري أو التقدم الحضاري أو الحقوق المقدسة الأزلية، ومن ثمة فالحقوق اليهودية تستند هنا إلى المثل الاشتراكية العليا . نبل العمل اليهودي . وإلى

التفـــوق الصـــهيوني العلمـــي والتكنولـــوجي، وإلى أنهـــم يحملـــون التقـــدم للشـــعوب المتخلفة.

ويبـين المسـيري حقيقـة هـذه الاعتـذاريات الصـهيونية المنبنيـة علـى أهـداف إقصـائية للمغـاير،إذ الاخـتلاق هنـا موجـه بشـكل محبـوك مـن أجـل وضـع تسـويغات لهـذا العنـف الموجـه، ويقـول في هـذا الصـدد:"إن الاعتـذاريات الصـهيونية،مهما بلغـت مـن ذكـاء ودهاء،ومهمـا غلفـت بـدعاوي عنصـرية أو دينيـة أو إثنيـة أو أيديولوجيـة، فهـي ـ في نهايـة الأمـر . تسـويغ لسـرقة واغتصـاب،ومن اليسـير للغايـة علـى المسـروق والمغتصـب، مهمـا بلـغ مـن تخلـف وتقليديـة، أن يحـس بالجريمـة وأن يسـميها باسمهـا: اســتعمار اســتيطاني إحــلالي يلجــأ للعنــف لاغتصــاب الأرض ولتحطــيم وإبادة مالكيها الحقيقيين"[51].

2ـ تاريخ الإشكالية ومولد فقه التحيز عند المسيري:

رافقـت نشـأة "فقـه التحيـز" عنـد "عبـد الوهـاب المسـيري" مراحـل مختلفـة مـن مسـيرته الفكريـة،حيث قـام بمراجعـة مقـولات الحداثـة في سـياق التصـادم المفـاهيمي والمرجعـي الحاصـل بـين التيـار العلمـاني والتيـار الإسـلامي، إذ انتقـل الباحـث مـن البعـد التصـادمي القيمـي وتخطـي كـل رهـانات الجـدل الانتقـائي، حينمـا عمـد إلى تحليـل العلمانيـة وأسسـها الفلسـفية في سـبيل وضـع خطـاب إسـلامي جديـد يموضـع الإنسـان في إطـاره المركـزي المتـوازن، والمؤكـد لإنسـانيته الـتي لا تختزلـه في مركزيـة مغاليـة تسـاويه بالطبيعـة مقصـية المرجعيـة الدينيـة أو سـؤال الألوهيـة والربوبيـة مـن التفكـير، مـن هنـا أكـد المسـيري أسـبقية الإنسـاني علـى الطبيعـي، إذ مجـاوزة الـذات الطبيعـة الماديـة هـو عـين التحقـق الإنسـاني نظـرا لوجـود بعـد غيـبي لا نسـتطيع اختزالـه أو تشـييئه، وهـو مـا تحـاول العلمانيـة تغييبـه، إذ الحضـور الإنسـاني لا تسـتقيم ركـائزه إلا بوجـود إلـه متجـاوز مفـارق للمـادة، وهـو مـا يضـمن لـه سمـة التمـايز عـن باقـي الكائنات الطبيعية المادية المغايرة.

إذن فـالنموذج المـادي الـذي يقصـي التمـايزات بـين الإنسـان والطبيعـة يسـهم في خلـق حداثـة مشـوهة، ترتضـي إقصـاء المرجعيـات في مقابـل اعتبـار المجتمـع مكـونا مـن كيـانات متصـارعة، وهـذا النمـوذج حسـب الباحـث أسـهمت سـياقات محـددة في بسـط هيمنتـه في العـالم، ومنهـا: تفـاقم نفـوذ الدولـة القوميـة باعتباراتهـا السـلطوية السـاحقة للمغـايرات،مع تبريـر هـذا الحضـور المفتعـل مـن خـلال النظـريات السياسـية المصـاحبة، وكـذا تزايـد نطـاق القطـاع الاقتصـادي التجـاري، فضـلا عـن انتشـار

النظـريات العقلانيـة المتطرفـة والنفعيـة.إذ الـرابط بـين كـل هـذه السـياقات المصـاحبة والمتموضـعة في شـكل نظـريات هـو تأسسـها علـى جوهرانيـة ماديـة آليـة، تحصـر هـدف الوجـود في غـايات مجـردة إنسـانية مثل:الدولـة . القـانون العـام . الـربح وتـراكم الثـروات . المنفعـة الشخصـية...، مـن هنـا فكـل الخطـابات الـتي راجعـة الحداثـة ومقولاتهـا بحثـت عـن إنسـانية الإنسـان المفقـودة أو عـن هـذا الإلـه الخفـي المعـبر عـن حتميـة الميتافيزيقـا الدينيـة أو المثاليـة أو ظـلال الإلـه الـذي حـاول نيتشـه إزاحتـه، ومـا محاولـة القضـاء علـى الثنائيـات الضدية:خير/شـر،مقدس/مدنس، نسـبي/مطلق ..إلا محاولـة لتبديـد ثنائيـة الإنسـاني والطبيعي/المـادي، لـذلك فـالمكون الـرباني المصـاحب لإنسـانية الإنسـان يأخـذ شـكل الإلـه الخفـي، وهـو مـا يجعـل النمـوذج الطبيعي/المـادي غير محقق بشكل كلي.

يمكـن القـول أن المسـيري ونتيجـة مراجعتـه لمختلـف المـذاهب والمعـارف الفكريـة تحـول إلى المنظومـة الفكريـة الإسـلامية الـتي تحقـق الرؤيـة الإنسـانية بصـيغتها المتكاملـة، فقبلهـا درس الماركسـية ورغـم إعجابـه بعـدالتها إلا أنـه رفـض ماديتهـا المفرطـة، كمـا رفـض المعـارف الغربيـة ليـدعو إلى إنشـاء فقـه للتحيـز، وذلـك مـن خـلال نقـض المصـطلحات الفكريـة والمعرفيـة والمنهجيـة..، مـع مراجعـة المسـلمات العلميـة الـتي شكلت أرضية لنشأة الحداثة وفلسفتها.

انطلاقـا مـن ذلـك حـذر المسـيري مـن الحمـولات الأيديولوجيـة للكثـير مـن المصـطلحات الغربيـة، وقـد ربـط النمـاذج المعرفيـة بالتعامـل المنهجـي، ناهيـك عـن تقديمـه نمـاذج وأدوات تفسـيرية تفسـر الواقـع وتطـرح بـدائل تغيـيره وتقويمـه، وقـد ركـز علـى أهميـة الخريطـة الإدراكيـة والنمـاذج الفكريـة والمعرفيـة، إذ المعركـة الحقيقيـة هـي معركـة المعـاني، والـتي يـتم مـن خـلال توجيـه المـدركات نحـو تمثـل صـور تبخيسـية للآخـر في مقابـل صـياغة صـور نمطيـة مضـخمة للـذات والـتي تموضـعها في إطـار مركـزي متعالي، ومن هنا يتضح أن صياغة النموذج عملية إدراكية إبداعية.

اعتبـارا مـن هـذا الأمـر اهـتم المسـيري بالنمـاذج المعرفيـة، وكـل مـا مـن شـأنه أن يـدخل في تركيبـة البنـاء الحضـاري كالمفـاهيم والمـنهج والخـرائط المعرفيـة والإدراكيـة والذهنية والفكرية.

إن السـياق الـذي ظهـر فيـه خطـاب المسـيري حـول فقـه التحيـز هـو الـذي مـنح للباحـث تمايزاتـه الآليـة والمنهجيـة، الـتي تحـاول تشـكيل اعتباراتهـا بعيـدا عـن التـأثيرات الغربية،فالنقـد الإسـلامي للحداثـة يقـوض أسـس الحداثـة الغربيـة ويفضـح خطاباتهـا ومرجعياتهـا المنبنيـة علـى أسـس اسـتعمارية إمبرياليـة، كمـا يطـرح حلـولا حـول إمكانيـة

إقامة مشروع حداثي إنساني عربي، لذلك وانطلاقا من هذا الأمر كانت أهم سمات الخطاب الإسلامي المقترح من قبل الباحث:

. محاولة إقصاء فكرة التمركز الغربي.

. الانفتاح على النقد والرؤية المتكاملة.

ـ خطاب توليدي استكشافي يكشف عن تمظهرات مغايرة واحتمالية منافية لما يظهره.

. الاعتماد على رؤية معرفية شاملة.

ـ خلق توازن بين الاستفادة من معطيات الحداثة الغربية و البحث عن ماكمن أو أبعاد إنسانية مغايرة.

ـ التوصل إلى معرفة الإمكانات الذاتية المبدعة وذلك باستخراجها من المنظومة الإسلامية.

. تشكيل معجم حضاري متكامل ومستقل.

. إدراك الأبعاد الحضارية لكل الظواهر والأشياء المستحدثة.

. تقديم رؤية إسلامية مستقلة في التنمية.

. اعتبار التدافع والحركة أساس الحداثة.

. فهم مشكلات مابعد الحداثة وإدراكها إدراكا عميقا.

. الاحتفاء بالتعدد مع مفارقة كل الإطلاقات المتناقضة.

. صياغة نموذج معرفي إسلامي.

ـ تحديد رؤية متكاملة للشريعة وأهم مقاصدها وإسقاطها على الواقع الإسلامي المعاصر.

. مجاوزة الدولة المركزية وذلك من خلال الاهتمام بالأمة ككيان معوض لها.

. تقديم رؤية شاملة ومتطورة للفنون الإسلامية.

. قراءة التاريخ بشكل مجاوز للمنظور الغربي.

إذن فالمسيري وانطلاقا من هذه السمات يدعو إلى إقامة نسق فكري عربي إسلامي مؤسس على الثنائية والتجاور والتعدد، ومعول على الجانب الروحاني والديني والرباني في الإنسان وذلك نفيا للنموذج الغربي المادي الطبيعي الجسدي.

3- أسباب الحفر الأركيولوجي في إشكالية التحيز عند عبد الوهاب المسيري:

أ. العولمة:

ظهرت كتابات المسيري في سياق البحث عن خطاب مضاد لخطاب العولمة،إذ لاحظ ومن خلال تعريفاته للعلمانية التي تأسست عليها الحداثة وما بعدها أو السياق العولمي أن النظام العالمي الجديد يحمل مضامين إقصائية للأخر، وذلك بغرض الهيمنة الاستعمارية وأحادية الوصاية من خلال نشر الديمقراطية ومعاهدات السلام، ومن ثمة التفرد بوضع المناهج الموافقة للمصالح الإمبريالية،إذ تسعى إلى الحصول على القداسة من خلال اعتباراتها وإلغاء كل مقدس مغاير . الدين . أو مرجعية اعتبارية، فهذه "المعقولية الاستراتيجية الجديدة تحاول ضبط حقل معايير إنسانية وكونية، تتجاوز المعطيات الظرفية والنسبية، وتؤسس للتدخل في الحياة البشرية على العقل القيمي حتى يشرع هذا العنف ويضبط استعماله"(52). ولو أن المسيري في حوار له نفى أن تكون العولمة ظاهرة يهودية، إذ يقول:"ومحاولة جعل اليهود مسؤولين عن ذلك فيها تضخيم لليهود وتقليل من شأن المنظومة الإمبريالية الغربية التي اجتاحت العالم بشكليها القديم والجديد.أما مسألة سيطرة اليهود على الإعلام والأموال فهذه مسألة تحتاج إلى الدراسة،وما قمت به وغيري من دراسة علمية تبين أن حجم الرأسمال اليهودي ليس بهذه الضخامة،وأن سيطرتهم على الإعلام هي أسطورة هي أسطورة سيطرت على العقل العربي، لابد من كشفها حتى يمكن أن ندرك حجم الخطر المحدق بنا وطبيعته"(53).

ورغم هذا النفي إلا أنه لا يمكن تجاهل أن للعولمة تأثيراتها على فكر المسيري وتوجهه، لا كمرجعية أو كدافع انبهاري تبريري وإنما، كرغبة أو كإرادة تحفيزية في المساءلة والكشف عن ملابسات الخطاب الغربي بوجه عام والصهيوني /اليهودي بوجه خاص، وهذه الرغبة تحاول الارتكاز على ما هو موضوعي وعلمي من أجل الوصول إلى حقيقة الظاهرة ومن ثمة طرح البدائل أو بناء الخطوات الأول للحلول المفترضة أمام الأجيال المقبلة.

ب. صدام الحضارات:

مع التكثيف من استخدام مصطلح"صراع الحضارات" ظهرت الحاجة إلى إيجاد خطاب يفند الادعاء بتوتر العلاقة البينية،لذا يمكن القول أن كتابة المسيري

تشكل أرضية للبحث عن نقاط اشتراك وحتى في تعامله مع الصهيونية واليهودية يلتزم العلمية ويعالجها بوصفها ظاهرة تحتاج إلى الكشف، ويقول في هذا الصدد:"عبارة صراع الحضارات تعني أن ثمة صراعا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية على سبيل المثال، أو بين الحضارة الغربية والحضارات الشرقية، وهذا ليس حقيقيا. فالحضارتان قد تفاعلتا عبر تاريخهما بشكل خلاق،حتى في المرحلة الاستعمارية الحديثة، فقد انفتح العالم الإسلامي على الغرب وتبنى كثيرا من الأفكار والرؤى إلى جانب استيراد التقنيات والسلع، ولذا أذهب إلى أنه لا يوجد صراع حضارات"(54).

ومن هنا يؤكد المسيري أنه يحارب صيغة أخرى من الصراع الحضاري، "بين من يرون أن الاستهلاك هو الهدف من الوجود وأن من حق القوي أن يستهلك على حساب الآخرين من جهة، ومن جهة أخرى هؤلاء الذين يرون أن الجنس البشري بأسره يجب أن يتكاتف ويتعاون حتى يمكننا أن نعيش في هذه الكرة الأرضية بمصادرها المحدودة، وأن نقيم مجتمعات مبنية على العدل ونحقق قدرا من التوازن للإنسان: التوازن مع الذات والتوازن مع الطبيعة والتوازن بين الجماعات الإنسانية. هاتان رؤيتان حضاريتان مختلفتان وهما تتصرعان، وأرجو من الله أن ينتصر أصحاب الرؤية الإنسانية في الشرق والغرب على ممثلي الرؤية الداروينية المتوحشة"(55).

من هنا فالمسيري يسعى إلى بناء صيغة حوارية، ونعني بالحوار التبادل القائم بين الذات والآخر في الآراء والمواقف من أجل تقريب وجهات النظر وتقليص زمن الخلاف، حيث الذات تسعى إلى تأسيس زمن التقاء أو صيغة مشتركة قائمة على التفاهم، من هنا يفترض الحوار الموضوعي إقصاء مركزية الذات وصيغة التعالي، ونبذ التعصب والاحتفاء بالتعدد، فالتعارض القائم سببه الانغلاق الفكري أو سعينا لتأويل الحقيقة بحسب منظورنا الخاص ،حيث نقوم بإقصاء كل التأويلات المغايرة التي تقدم بدائل تسهل من الاقتراب من حقيقة الموضوع، من هنا تكون الحروب كلامية، حروب خطابات أو نصوص منتجة، "لذا، فإننا نميل إلى أن التعارض إنما هو في النهاية تعارض بين ضربين من العقول: عقل مغلق وعقل منفتح. والعقل الأول يميل إلى تقييد النص وضبط معناه وحصر الطريق إليه من جهة واحدة. ومآل هذا العقل الاستبداد بالرأي والتعصب والعماء. أما العقل الثاني فإنه يرى بان الطريق إلى النص ليس واحدا بل كثير. إذ لا مجال لحصر دلالاته وضبط معانيه . وأصحاب هذا العقل يرون أن الحقيقة واحدة ولكن

وسائل التعبير عنها كثيرة والطرق المفضية إليها متعددة. بل يرون أن الحق واحد والحقائق كثيرة. والحقيقة لا تساوق الحق دوما وأبدا،لأنها وجه له. لذلك يميل هؤلاء إلى الانفتاح والمغايرة، يستوعبون الجديد وينفتحون على الغير" (56).

إذن فالحوار يسعى إلى بناء زمن التقاء تتقارب فيه وجهات النظر، بل يتخفف الخلاف ويتلاشى الاختلاف ليحل محله التعدد، الذي يعني احترام حدود المغايرة والنظر إليها كونها مكملا أساسيا للهوية لا مهددا لها، فليس"الصراع هو المظهر الوحيد لعلاقتنا مع الغير،فثمة تجارب نشعر فيها أننا مع الغير،وأننا نكون جماعة واحدة. فنقول نحن فعلنا كذا..إلخ، وقد تكون "نحن"في موقع الفاعل من الجملة،فتعبر عندئذ عن مجموعة من الذوات المتعالية ليست الذوات المفردة فيها موضوعا لشيء، وإنما تدرك كل ذات منها الذوات الأخرى باعتبارها ذوات مثلها ..." (57).

إذن فنحن حينما نتحاور نحاول أن نلغي منطقة التمركز أو أن ننقص منها على أقل تقدير، إذ أن هذه المنطقة التي تتكون من المصلحة والأهواء والمطامع ...إلخ، تسعى إلى التغلب على منطقة مابعد التمركز والاستيلاء عليها والتموضع فيها بشكل كلي،لذلك فهي تصارع من أجل الهيمنة عليها، ومن هذا المنطلق يستطيع الحوار أن يقوم بما لم تقم به جميع محالات التسوية، إذ يعمق الإحساس بالآخر وأهميته ويوسع من منطقة الإدراك الجمعي الذي سمته التعدد والاحتمالية، وهذا الأمر يسهم في القضاء على العقلية الاصطفائية أو الاقصائية، وذلك بتوسيع المدركات نحو تقبل الآخر والاعتراف به،ونبذ الاختلاف المفضي إلى الخلاف، "لأن الاختلاف مدعاة إلى المجادلة والمنازعة، والمنازعة تحمل على التعصب والتحزب، وتورث العداوة والبغضاء"(58)، وقد اقترح علي حرب عدة فكرية جديدة لإدارة الحوارات صاغها في عناوين فرعية هي:

"**1- التقى الفكري:** ويقصد به الاعتراف بحدود الذات وإمكاناتها وبأنها أقل شأنا من أن تملك الحقيقة.

2- التواضع الوجودي: ويقصد به نبذ الاستثنائية والعقلية الاصطفائية المركزية للوصول إلى صيغة عيش مشتركة أو ما يعرف بالاعتراف المتبادل.

3- الوعي النقدي: حيث التقى والتواضع يسهم في خلق هذا الوعي الذي يساعد على اعتراف الذات بأخطائها ومراجعتها مراجعة نقدية.

4. عقـــــل تـــــد ا ولـي: ويقصد به انفتاح كل طرف على الآخر والإنصات إليه،وذلك بطريقة تداولية تنبذ طرح الأفكار بصورة مطلقة ونهائية.

5. مـنـطـــــق تـحـــــويـلـي: وهذا يعني التزحزح عن صفة المركزية،فالحوار ليس معناه السعي نحو التشابه والتطابق وإنما خلق صيغة تفاهم ،وذلك بمحاولة تحويل الآخر وتغييره نحو تقبل الذات واختلافاتها.

6. عقـلانـيـــــة مـركـبـــــة: هو السعي إلى فهم الأمور بجميع وجوهها المستبعدة لا بشكلها الأحادي المبسط.

7. الـبـعـــــد الـمـتـعـــــد د: هو النظر إلى الهوية على أنها منجز متعدد،وهذا يسمح بتقبل الآخر والنظر إليه على أنه الجزء المغيب من الذات أو ما يجب أن تكونه.

8. لـغـــــة الـخـلـــــق: إذ الحوار يحتاج إلى لغة الخلق التي تتأسس بالنظر إلى الكفاءة المتساوية أو من موقع الفعالية المتكافئة.

9. الـنـمـــــوذج الـفـا عـــــل: فالحوار يحتاج إلى نماذج فاعلة خلاقة تعمل بعقول تواصلية وسطية متبادلة وسلمية.."[59].

إضافة إلى الحوار وجب التخفف من الرؤية الأحادية الضيقة إلى الأمور، ولا يكون الأمر إلا بتقبل الآخر والنظر إليه على أنه مكمل للهوية، إذ الهوية"لا تنفك إذا عن المغايرة ولا يتعين المثل من دون المختلف. بل كل مثل هو ذات وغيره في آن. كل مثل هو واحد ومنقسم. هكذا يتسلل الاختلاف إلى مملكة الذات وتصبح المغايرة مقوما من مقومات الهوية ويقبع الآخر في صميم الأنا" [60]، كما وجب فهم الذات جيدا "ولا يتم فهم الذات إلا بالمزيد من فهم المسمى بالآخر(الآخر الذي هو أنا بالمقابل، والآخر الذي أتخيله، والآخر الذي يواجهني، وقد أكونه، والآخر الواقعي، ولكن كما أعتقده.." [61] ، وهذا الأمر يجعلنا نفهم أن الانتشار والتوسع لا يحمل في طياته الحق في أغلب الأحيان، إذ كثيرا ما يكون كامنا فيما هو منبوذ ومهمش ومقصي، لذا لا تحمل القلة سببية الابتعاد عن الحق والشذوذ عنه، ولو كان الأمر كذلك لما كان في تاريخ البشرية متبعي الأنبياء صلوات الله عليهم قلة قليلة.

ج. الصهيونية والصراع العربي الإسرائيلي:

يبين المسيري دوافع اهتمامه بالكتابة عن اليهود وتاريخهم ومستقبلهم في حوار معه، حيث يقول:"الدوافع الشخصية عديدة وواضحة، وهي أنني عربي يعيش في

المنطقة العربية،ومن ثم فإن الدولة الصهيونية هي إحدى القضايا الأساسية التي تواجه المجتمعات العربية ومن ثم تواجهني باعتباري مفكرا مهتما بقضايا الوطن"[62].

ويردف المسيري قوله بأنه حال مغادرته مصر عام **1963** للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية لم تتمركز الدولة الصهيونية في ذهنه كإشكالية فكرية أو سياسية،بسبب خضوعه إلى الرؤية الإعلامية العربية التي تختزل القضية الفلسطينية، وذلك بالنظر إلى الفلسطينيين أنهم شعب من اللاجئين وتعتبر قضيتهم قضية إنسانية لا سياسية، ناهيك عن اعتبار إسرائيل وجودا مزعوما ،إذ يقول: "فكانت استجابتي المنطقية لهذا الموقف هو أنها إذا كانت مزعومة حقا،فلماذا نعطل التاريخ العربي من أجل شيء مزعوم؟ ولاسيما القضية قضية لاجئين فلسطينيين، وكانت إسرائيل في ذلك الوقت تدعي أنها لا تمانع في عودة عدد من اللاجئين الفلسطينيين، على أن تستوعب البلاد العربية بقيتهم،وحل القضية برمتها حلا إنسانيا،فهي قضية إنسانية وليست قضية سياسية.كما أني بطبيعة الحال كنت متأثرا بالرؤية الماركسية للقضية آنذاك وهي أن الإشكالية طبقية وأن حلها يكمن في تعاون الطبقة العاملة اليهودية مع الطبقة العاملة الفلسطينية، ويقوم الطرفان بالثورة ضد المرجعية العربية واليهودية"[63].

إلا أن المسيري يصرح أنه اكتشف أن هذه القضية سياسية استراتيجية لها أبعاد إنسانية،فالمجموعة البشرية التي حلت محل الشعب المطرود من أرضه يمكن موضعتها داخل مسمى النمط الاستعماري الاستيطاني الإحلالي في العالم،ومن هنا فالوجود الصهيوني بما شكله من دولة وظيفية شكل قاعدة سكانية عسكرية استحوذت على منطقة مهمة استراتيجيا لدى العرب من أجل خدمة مصالحه أهمها تشتيت العالم العربي وتجزئته.

ويتأكد هذا الأمر أكثر في حديثه عن الموسوعة إذ يقول:"حينما بدأت الموسوعة كان هناك دراسات كثيرة عن الصراع العربي الإسرائيلي كثير منها يدور داخل الإطار التآمري الذي يؤكد خصوصية اليهود وفرادتهم ويتهمهم بأنهم وراء كل شرور العالم، والبعض الآخر يدور داخل إطار فكر عام يصف نفسه بالعلمية يركز على الجوانب العامة للظاهرة الصهيونية. وثمة تأرجح شديد بين العام والخاص دون محاولة للجمع بينهما،مما ينتج نوع من الاختزال يفرز مقولات ليس لها مقدرة تفسيرية مثل إن اليهود إن هم إلا جزء من مؤامرة مستمرة ضد البشر أو إن إسرائيل إن هي إلا قاعدة للاستعمار الغربي" [64].

إذن فالدافع هنا واضح "وهو وجود دراسات اختزلت الظاهرة اليهودية والصراع العربي الصهيوني"، ومن ثمة الرغبة في إيجاد بدائل لتفسيرها. وفي هذا الصد يصرح أن معركته مع الصهيونية بدأت في الغرب، حيث نظر إليها باعتبارها ظاهرة استعمارية غربية ككل الظواهر الاستعمارية المفرزة من قبل الحضارة الغربية،ومن ثمة تشكل عداؤه لها ليصبح عداء إنسانيا ضد كل أشكال العنصرية والاستعمار. ويؤكد أنه حتى لو تصالحت الحكومات العربية مع إسرائيل فإنه لن يتصالح معها بل سيحاربها كما يحارب النازية والعنصرية والتعصب الديني...، إذ يوضح أن سياق كتابة الموسوعة ثوري هدف إلى مقاومة رياح التطبيع.

الحلول المقترحة للتخفيف من التحيز:

كيف نتجاوز التحيزات في المصطلح المنقول؟

يقترح عبد الوهاب المسيري في هذه القضية عدم ترجمة المصطلحات،وإنما تأمل الظاهرة ودراسة المصطلح الغربي بعد وضعه في سياقه الحقيقي، ومن هنا نصل إلى معرفة مدلولاتها الحقيقية لنقوم بتوليد المصطلحات وصكها من المعجم العربي، وإن كانت لا تعتبر ترجمة حرفية فإنها ستحمل رؤيتنا الخاصة وتتجاوز مسميات الآخر وادعاءاته ورؤيته، وهذا حسب المسيري ما سيعد انفتاحا حقيقيا على الآخر وليس خضوعا أو رفضا له، ولذا يقول:"فالانفتاح الحقيقي هو عملية تفاعل مع الآخر نأخذ منه (ونعطيه) ونبدع من خلال معجمنا، فالإبداع من خلال معجم الآخر أمر مستحيل" (65). لذلك حينما سئل في حوار أجرته معه سوزان حرفي عن الحل لتجاوز الاختراق المعرفي والمفاهيمي والمصطلحي أجاب:"إذا كان الهدف من الحيل البلاغية كلها هو فصل الأسباب عن النتائج،والحدث عن الدوافع، والواقعة عن السياق(فصل أ عن ب) فإن محاولة فك رموز الخطاب الصهيوني يجب أن تأخذ شكل ربط(أ) بـ (ب). ويمكن إنجاز هذا عن طريق وضع الظاهرة ـ الحدث ـ المعلومة في سياقها التاريخي وربطها بأحداث مماثلة تاريخية واجتماعية. وقد ضربنا مثلا باضطهاد الجماعة اليهودية في روسية القيصرية، وربطناه باضطهاد الأقليات والشعوب الأخرى كلها" (66). ورغم جدية ما يطرحه المسيري إلا أن صك المصطلحات يبقى صعبا ونحن نشهد تراجعا على كل المستويات، فالباحث لم يحدد لنا كيفية ذلك وإنما كان حديثه فضفاضا.

ويقدم المسيري مثالا عن ترجمة كلمة"يهودي"، إذ هذه الترجمة حسب رأيه تحمل تحيزات واضحة تبتعد عن الموضوعية، لذا يمكننا استخدام مصطلح"أشباه اليهود" وصفا لهؤلاء الذين نسوا اليهودية ثم فجأة تذكروها لأسباب غير دينية...، وأيضا وجب قول: معاداة اليهود بدل معاداة السامية إذ السامية فيه نوع من التعالي والحكم بالأفضلية على جنس بشري بعينه، لذلك فمعاداة اليهود توصف بأنها معاداة لهذا السمو والرقي الإنساني.

يقول المسيري في هذا الشأن: "التوليد محاولة تجاوز عملية النقل ليطرح لا بديلا وإنما نقطة ابتداء جديدة تماما، يتم توليدها من داخل المعجم العربي من خلال التفاعل مع حضارة الآخر، ثم ننطلق بعد ذلك من داخل ما ولد إلى نسقنا المعرفي الفريد"(67).

ويدعو المسيري إلى ضرورة البحث في المعجم العربي واكتشاف جميع إمكاناته اللفظية والصرفية والدلالية،إذ يمكن . حسب رأيه . بعث كلمات قديمة غابت وضمرت، ويعطي مثالا بمصطلحي "العمران" و"التراحم" حال الحديث عن الاجتماع الإنساني.

ويطالب المسيري بتأسيس علوم إنسانية مصحوبة بهيكل مصطلحي يحتفي بمركزية الفعل أو المصدر أو اسم المعنى لا الاسم الجامد، مثل "اجتماع . قيام .." بحكم أن الفعل إمكاناته التعبيرية والاشتقاقية كبيرة.

إضافة إلى ضرورة نحت كلمات جديدة تماما، مثل"الحدودية" التي تصف وضع الجماعات اليهودية التي تعيش على هامش الحضارة الغربية، أو"الحوسلة" التي تعني تحويل العالم إلى مجرد مادة يمكن الاستفادة منها، مما يضفي إلى نزع كل قداسة وحرمة.

خاتمة

في خاتمة الدراسة آثرنا رصد بعض المآخذ إضافة إلى ما ألمحنا إليه من مآخذ فيما تطرقنا إليه سابقا إذ لاحظنا على مشروعه جملة ملاحظات أهمها:

ـ المسيري لم يمارس النقد بشكل شامل، إذ اكتفى بتفكيك مرتكزات الحضارة الغربية والنظر إليها باعتبارها حضارة مادية قائمة على فلسفة مادية حلولية علمانية شاملة. ومن هنا غيب النقد الذاتي كما سماه علال الفاسي، أو النقد الزدوج على حد تعبير عبد الكريم الخطيبي، وهو ما حاول القيام به عبد الله إبراهيم حينما عرض في كتاباته"الرواية الغربية والإسلامية للذات والآخر، مؤكدا

على فكرة أساسية، وهي أن المركزيات تصاغ استنادا إلى نوع من التمثيل الذي تقدمه المرويات الثقافية(الدينية، والأدبية، والتاريخية، والجغرافية، والفلسفية، والأنثروبولوجية) للذات المعتصمة بوهم النقاء الكامل، والآخر المدنس بالدونية الدائمة" (68).

إذن مراجعة المسيري تبدو ناقصة لأنها تجهل اعتبارات الذات وخصوصية لحظتها التاريخي....، لذلك يتخذ النقد الممارس عنده طابعا نضاليا ضد إمبريالية الغرب وماديته، في مقابل تهميش قضايا العالم الإسلامي.

ـ بينما لاحظ الدكتور أحمد عبد الحليم على المسيري أنه:"حريص في الوقت نفسه على تأسيس نسق فلسفي هو أقرب إلى الأنساق الفلسفية التقليدية وإن كان يغلب عليه التأسيس النظري في الوجود والمعرفة دون إعطاء نفس القدر من التأسيس النظري لقضايا الممارسة والفعل أي الحفر المعرفي في قضايا السياسة والأخلاق،اللهم إلا حديثه عن ضرورة ارتباط العلم بالقيمة،وهو ما نفتقده في الحضارة الغربية دون تناول قضايا الحرية وحقوق الأفراد" (69).

ـ الاعتماد على ترسانة مفاهيمية كبيرة مرجعياتها . المذاهب والتيارات الاجتماعية والفلسفية . متعددة إلى حد التضارب، حيث أعيد تشكيلها بما يوافق ذوق المتلقي.وقد كان هاجسه الوحيد هو محاولة التخلص أو التحرر من فعل التحيز الكامن في المفاهيم الغربية المستعارة، لكن هذا الهاجس النفسي لم يكن له ما يبرره في كل الحالات، إذ ليست كل المفاهيم الغربية تضمر دعوة إلى التبعية والتحيز خاصة إذا علمنا أن الحضارات والأمم تنبني على التراكمية التي تفترض الاستفادة من المعارف الإنسانية مهما اختلفت مصادرها، فالمسيري ذاته يستخدم بعض المفاهيم والمصطلحات المستعارة من فلسفات أعادت الاعتبار للإنسان في نقده،أي من الحقل الدلالي للمفاهيم الفلسفية والاجتماعية الغربية.

ـ السعي وراء التمايز النحتي كاستخدام تعبيرات"الأكثر تفسيرا" و"الأقل تفسيرا" بديلا عن الذاتية والموضوعية، قد لا تكون أكثر دقة من التي غيرناها،إذ تلك التعبيرات قد تكون ثقيلة لأن العقل العربي لم يتعود عليها.

ـ يرصد المسيري في نصوصه نزعتين: نزعة جنينية وهي نزوع نحو التحلل في الكل الطبيعي/المادي،وأخرى ربانية :والتي في أساسها نزوع نحو تجاوز حدود الطبيعة/المادة(الجنين في الأول يرى نفسه الكل واتحد به العالم . حلول ووحدة وجود . وفي الثانية يكون النضج حيث الدعوة للعودة إلى النزعة الربانية ومجاوزة

النزعة الجنينية التي تؤدي إلى تدمير العالم)، وبناء على هذا التنازع بينهما يبني المسيري تصوراته، وهنا يلاحظ:

ـ في تصوير هذا النزاع بين النزعتين إبداع وخلق مفاهيمي جديد، إلا أن المفاهيم تغيب في نص المسيري ليبقى المضمون واحدا في بعض مناحيه، كما أن المسيري التقى بمنجزات نقدية غربية ولم يمانع من الاستفادة منها بينما عاب على المفكرين العرب الحداثيين تبعيتهم للعقل الغربي حينما لاحقهم بتهمة التحيز، فمصطلحات مثل: العلمانية والحلول والكمون...لن تستطيع مصطلحات عربية أن تستوعبها أو تقدم حوارا ونقاشا فعالا مثل: الكفر والجاهلية...

ـ كما أن المسيري وهو يهاجم هيجل ويجده المسؤول عن العلمانية والكمونية كان هيجليا، فحضور النزعتين "الجنينية والربوبية" تصور ثنائي تأسس عليه المنطق الهيجلي، ومن هنا فكل تفكير يحتفي بالثنائية أو يتأسس على الدين ينتهي هيجليا.

ـ تركيز المسيري على المنظور الحجاجي والرؤية الدفاعية من خلال رده، صبغ مقولاته بالطابع الحجاجي المتميز بالقوة والتحرك النقدي في اعتبارات معرفية مختلفة، إلا أن مقاومة الهيمنة قد تؤثر على الجهاز المفاهيمي، فرغم ما تميز به المسيري من نحت موفق أسهم من الناحية النفسية في تعزيز الثقة بالذات والتحرر من هيمنة المتعارف عليه في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وكذا محاربته على جبهات مختلفة إلا أن الأمر لا يخلو من نقائص.

الهوامش

1- عبد الله إبراهيم:المطابقة والاختلاف،المؤسسة العربية للدراسات والنشر/دار الفارس للنشر والتوزيع،بيروت/عمان،ط**2004**،**1**.ص.**15**

2- روبرت هـ.ثاولس:التفكير المستقيم والتفكير الأعوج،ترجمة:حسن سعيد الكرمي،عالم المعرفة،الكويت،**1979**.ص.**155**

3- م.ن. ص.**160**

4- م.ن. م.ن.ص.**162**

5- م.ن. م.ن.ص.**162**

6- م.ن.ص.**164**

7- م.ن.ص.**170**

8- عبد الله إبراهيم:المطابقة والاختلاف.ص.**15**

9- م.ن.ص.**15**

10- ميجـــان الرميلي،ســـعد البازعي:دليـــل الناقـــد العربي،المركـــز الثقـــافي العربي،الـــدار البيضاء/بيروت،ط2002،3.ص.106
11- عبد الوهاب المسيري:اللغة و المجاز،دار الشروق،القاهرة،ط2006،2.ص192
12- عبد الوهاب المسيري:إشكالية التحيز،المعهد العالمي الإسلامي،ط1998،3.ص.67
13- عبد الوهاب المسيري:المجاز واللغة.ص.12
14- م.ن.ص.14
15- م.ن.ص.17
16-م.ن.ص.17
17-م.ن.ص.18
18- علي حرب:نقد الحقيقة،المركز الثقافي العربي،الدارالبيضاء/بيروت،ط2005،3.ص.90
19- المرجع نفسه.ص91.
20-نصـــر حامـــد أبـــو زيـــد:النص الســـلطة الحقيقـــة،المركز الثقـــافي العربي،الـــدار البيضاء/بيروت،ط1995،1.ص.67
21- فريـــــديريك نيتشـــــه:هذا هـــــو الإنســـــان،ترجمة:علي مصباح،منشـــــورات الجمل،كولونيا،ط2006،2.ص.138
22- علـــــي حرب:الإنســـــان الأدنى،المؤسســـــة العربيـــــة للدراســـــات والنشر،بيروت،ط2010،2.ص.139
23- جـــــودت الســـــعد:أوهام التـــــاريخ اليهودي،الأهليـــــة للنشـــــر والتوزيع،عمان،ط1998،1.ص.262
24- عبـــد الوهـــاب المســـيري:الأيديولوجية الصـــهيونية،الجزء الأول،الجـــزء الأول.عـــالم المعرفة،الكويت ،1982.ص.224
25- روبرت هـ.ثاولس:التفكير المستقيم والتفكير الأعوج.ص .157
26- عبد الله إبراهيم:المطابقة والاختلاف.ص.600
27-علي حرب:تواطؤ الأضداد،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط2008،1.ص113
28- روبرت هـ.ثاولس:التفكير المستقيم والتفكير الأعوج.ص.159
29- عبد الوهاب المسيري:الأيديولوجيا الصهوينية.ص116
30- عبد الوهاب المسيري:اليد الخفية،دار الشروق،القاهرة،ط2001،2.ص.247
31- عبد الوهاب المسيري:الصهيونية واليهودية،دار الفكر،دمشق،ط2009،1.ص56-57.
32- عبد الوهاب المسيري:اللغة والمجاز.ص178.
33- عبد الوهاب المسيري:الصهيونية واليهودية.ص.56
34- عبد الوهاب المسيري:اليد الخفية.ص.255
35- م.ن.ص.256
36-عبـــد الوهـــاب المسيري:الصـــهيونية والنازيـــة ونهايـــة التـــاريخ،دار الشروق،القاهرة،ط2001،3.ص266.
37-عبد الوهاب المسيري:الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ.ص.226

38- عبد الوهاب المسيري:الأيديولوجيا الصهوينية،الجزء الأول.ص.227
39-عبد الوهاب المسيري:الأيديولوجيا الصهوينية،الجزء الأول.ص.231
40-عبد الوهاب المسيري:الصهيونية والعنف،دار الشروق،القاهرة،ط2002،2.ص.95
41- م.ن.ص.232
42-علي حرب:الإنسان الأدنى.ص.138
43- سعد البازعي:الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء/بيروت،ط2008،1.ص.45
44-م.ن. ص.37
45- ديبتر سنغاس:الصدام بين الحضارات،ترجمة:شوقي جلال علي مولا،دار العين للنشر،القاهرة،ط2002،1 . ص.204
46- علي حرب:تواطؤ الأضداد. ص.113
47- عبد الوهاب المسيري:الأيديولوجيا الصهيونية.الجزء الأول.ص.140
48- عبد الوهاب المسيري:الصهيونية والعنف.ص.62
49-م.ن.ص143
50-عبد الوهاب المسيري:الأيديولوجية الصهيونية،الجزء الأول.ص.145
51- م.ن.ص.151
52-فتحي التريكي عبد الوهاب المسيري:الحداثة وما بعد الحداثة،دار الفكر،دمشق،ط2003،1.ص.251
53- عبد الوهاب المسيري:الصهيونية واليهودية.ص.205
54- عبد الوهاب المسيري:الهوية والحركة الإسلامية،دار الفكر،دمشق،ط2010،2.ص.33
55-م.ن.ص.34
56- علي حرب:التأويل والحقيقة،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،2007.ص.19
57- فؤاد كامل:الغير في فلسفة سارتر،دار المعارف،مصر.ص.72
58-علي حرب:نقد الحقيقة.ص.35
59-انظر تفصيل ذلك في كتاب علي حرب:تواطؤ الأضداد.من ص140 إلى ص.144
60-علي حرب:نقد الحقيقة.ص.29
61- جان بودريارد إدغار موران:عنف العالم،ترجمة عزيز توما،دار الحوار للنشر والتوزيع،اللاذقية،ط2005،1.ص.40
62- عبد الوهاب المسيري:الصهيونية واليهودية.ص21-.22
63- م.ن.ص.22
64- م.ن.ص22-.23
65- عبد الوهاب المسيري:إشكالية التحيز.ص.85
66- عبد الوهاب المسيري:اليهودية والصهيونية.ص.69
67- عبد الوهاب المسيري:إشكالية التحيز.ص.87
68-عبد الله إبراهيم:المطابقة والاختلاف.ص.17

69-مجموعة باحثين:عبد الوهاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده،دار الفكر،دمشق،ط**1**،**2007**.ص**19**.